في رحاب الإمام علي عليه السلام

الشيخ فوزي آل سيف

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة

والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين

بين يدي القارئ والقارئة

قبل أحد عشر عاما صدر كتاب (رجال حول أهل البيت)، وبعده بثمانية أعوام صدر كتاب (نساء حول أهل البيت)، وعندما أريد إعادة طباعة الكتابين رأى بعض الإخوة تجزئة هذين الكتابين بحيث يصدر كتيب حول كل معصوم، وأصحابه (رجالا ونساء)، فكان هذا الذي بين يديك، وهو يحقق عدة أمور، منها سهولة تداول كل قسم من أقسامه، بخلاف ما إذا كان أربعة مجلدات كبيرة، ومنها أن الفئة المخاطبة به هي الفئة الشابة وهم يقبلون على الكتاب الصغير حجما، أكثر من إقبالهم على كبير الحجم، ومنها أنه من خلال هذا الجمع سيتم الإحاطة بحياة المعصوم من جهات متعددة.. لكل هذه الأمور، تم تنسيق الكتابين بهذا النحو.

وها هي بين يديك إضمامة عطر من بستان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تحتوي على حياة خمسة من الرجال الرساليين، وخمس من المؤمنات القانتات، وقد قدمنا مقدمة قبل فصل النساء تحاول معالجة تلك الروايات التي يظهر منها شيء من القسوة في حق المرأة أو عدم الاعتراف بحقها، وبينا ما هو المقصود من تلك الروايات..

موجز عن حياة

(أمير المؤمنين) علي بن أبي طالب عليه السلام

٣٠ بعد عام الفيل- ٤٠هـ

ولد أمير المؤمنين عليه السلام بعد ثلاثين سنة من عام الفيل وكان مولده داخل الكعبة المشرفة حيث انشق جدار الكعبة لأمه فاطمة بنت أسد لما أدركها الطلق وهي في الطواف كما ذكر ذلك معظم المؤرخين والمحدثين، وسجلت هذه الفضيلة لعلي عليه السلام، وحده، لم يسبقه فيها نبي أو وصي منذ بداية الخلق.

منذ بدايات ولادته كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهتم به، ويرعاه إلى درجة أنه كان يوجره- وعلي طفل آنذاك- اللبن في حلقه، ويناغيه قبل نومه. وفي مرحلة تالية أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من والده، إلى بيته، وتربى علي على يد رسول الله مباشرة. وكان معه مدة ثلاث وثلاثين سنة.

كان أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتلقى بالقبول دعوته، إذ بُعث النبي ـ كما أخبر الإمام علي عليه السلام ـ يوم الاثنين وآمن به الإمام يوم الثلاثاء..

عندما بعث رسول الله، وأمر بأن ينذر عشيرته الأقربين، جمعهم، وأطعمهم ثم خطبهم قائلاً: أيكم يؤمن بي و يوازرني

على هذا الأمر فيكون أخي ووصي ووزيري وخليفتي في أهلي من بعدي؟! فما قام أحد منهم إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال له: إن هذا أخي ووصيي ووزيري فاسمعوا له وأطيعوا.

كان لا يفتأ رسول الله عن الإشارة إلى علي بأنه أمير الناس وإمامهم، وأنه وصيه وخليفته ووزيره، وكان علي عليه السلام لا يدخر وسعاً في نصرة الرسول وفدائه بنفسه كما حصل في ليلة المبيت حيث بات أمير المؤمنين على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليغطي بذلك هجرته إلى المدينة.

بعد ما وصل النبي إلى المدينة، وكان قد أوصى علياً بأداء ودائعه إلى أصحابها في مكة أعلن الإمام علي عليه السلام عن عزمه على الهجرة إلى المدينة، وقال للقرشيين إن كان لهم وديعة أو دين عند النبي فليطلبوها منه، وأنه راحل بعد أيام. وكان هذا أبرز تحذ لجبروت قريش: أن يخرج علانية، ولما أرسلوا رجالهم لمنعه كان نصيبهم مصافحة الأرض بوجوههم الدامية..

بعدما وصل إلى المدينة آخاه رسول الله مختصاً إياه بين جميع المسلمين، وزوجه ابنته فاطمة الزهراء، بعدما ردّ عدداً من كبار المسلمين الذين تقدموا لخطبتها.

اشترك في حروب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان فارسها جميعاً ففي بدر قتل (٢٧) مشركاً بمفرده بينما قتل المسلمون جميعاً الباقي وهم (٤٣) قرشياً. وفي أحد كان الثابت الأساس إلى جنب الرسول ومعه عدد قليل من المسلمين، بينما لاذ أصحاب الأسماء بالفرار، حتى لقد سمع المسلمون جبرائيل منادياً بين السماء والأرض: لا فتى إلاّ علي. لا سيف إلاّ ذو الفقار. وفي الخندق

قتل عمرو بن عبد ود العامري الذي جبن عن ملاقاته جميع المسلمين، وكانت ضربته لعمرو بن عبد ود يوم الخندق «أفضل من عبادة الثقلين»، وفي خيبر قتل فارس اليهود (مرحباً) وقلع باب حصن خيبر وتترّس به وحمل على اليهود ففتح الله على يديه، وهكذا كان حاله في سائر الحروب والغزوات.

أبقاه رسول الله ﷺ في المدينة حينما خرج لآخر غزوة وهي تبوك وعندما أرجف المنافقون بذلك، قال رسول الله ﷺ له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي» فأثبت له كلما كان لرسول الله ما عدا النبوة.. من وجوب الطاعة والتفويض إليه، وكون إمامته عامة للناس جميعاً.

في آخر حجة لرسول الله ﷺ (حجة الوداع) في السنة العاشرة، وحيث تدارك الرسول قرب أجله، أراد أن يصنع شيئاً يضمن به مسيرة الأمة بعده، فجمع الناس في غدير خم حيث مفترق طرق الحجاج وقام فيهم خطيباً معلناً لهم أنه كما أن الرسول هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم فعلي كذلك. وأنه مولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم أمرهم بالسلام عليه بإمرة المؤمنين.

مع وفاة الرسول ﷺ جرت الأمور في غير ما كان الرسول قد قدر لها، وزويت الخلافة عن أمير المؤمنين ﷺ بتحالف كان بين بعض القرشيين، ضمن مبررات تنتمي إلى مرحلة ما قبل الشريعة.

رأى أمير المؤمنين أن وحدة الأمة الإسلامية ستنتهي، بل ربما ذهب الدين، لو أنه قام بالمعارضة المسلحة «فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى» كما قال. وتجاوز عن هذا الأمر حفاظاً

على الدين.

ولدت خلافة أبي بكر جنين خلافة عمر إذ أنهما «تشطرا ضرعيها» وكبر هذا الجنين فأصبح «شورى» «فيا لله وللشورى» وجاء عثمان ومعه «بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث عليه فتله وكبت به بطنته».

مع الأمور التي حدثت أيام عثمان بن عفان وتطور الأحداث إلى قتله، جاء المسلمون جميعاً إلى أمير المؤمنين مبايعين حتى «لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي» وهم يصرخون البيعة البيعة!!.

ما كانت تقرّ عيون المؤمنين بولاية أميرهم حتى قام الزبير بن العوام ومعه طلحة ومن ورائهما أم المؤمنين عائشة بإشعال حرب الجمل ضد أمير المؤمنين عليه السلام وكانت أول بغي مسلح على الخليفة الشرعي المعيّن من قبل الرسول والمنتخب من الناس.

استمراراً لنفس السلسلة.. ما كاد أمير المؤمنين يرجع إلى الكوفة حتى أعلن معاوية التمرد رافعاً قميص عثمان شعاراً لتمرّده وكانت معركة صفين.. ثم خدعة التحكيم، التي نتج عنها تمرّد أصحاب الجباه والقلوب السود من الخوارج.. ثم معركة النهروان معهم. وهكذا كانت السنوات الخمس التي حكم فيها أمير المؤمنين عليه السلام، لا ينتهي من معركة حتى تُفرض عليه أخرى.

وفي فجر التاسع عشر من رمضان سنة ٤٠هـ، حينما كان الإمام يؤدي صلاة الفجر قام الخارجي عبد الرحمان بن ملجم باغتيال الإمام عليه السلام وهو ساجد في محراب مسجد الكوفة، وهكذا فتح عينه عليه السلام في بيت الله وأغلق عينه في بيت الله. وهذا يختصر عنوان حياته بينهما.

رجال حول الإمام علي عليه السلام

قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام

الوفاة: شهيداً بيد الحجاج الثقفي

إني إذا الموت دنا وحضرا شمرت ثوبي ودعوت قنبراً

قدم لوائي لا تؤخر حذرا

الإمام علي عليه السلام

تركز الثقافة السطحية على ظواهر الأمور، فتجد الشرف كل الشرف في الانتماء لا غير والمجد كل المجد في (العظام) من الآباء والأجداد، وهكذا يصبح الفرد- تبعاً لهذه الثقافة- سيداً دون أن يعلم أو يساهم في هذه السيادة، أو حقيراً دون أن يرغب أو يختار.

غير أن الثقافة الإسلامية الأصيلة تضع مقياساً آخر لعظمة الإنسان، وأهميته وأفضليته، وأهمية هذا المقياس أنه يقع ضمن دائرة اختيار الإنسان، وباستطاعة المرء في أي وقت أن يستجيب له، ويصعد بالتالي سلم المجد، أو يتركه فيبقى حيث هو، ذلك المقياس هو (مواقف الإنسان) سواء تجاه الرسالة والرسول، أو تجاه المجتمع والأحداث التي تجري فيه، وفي هذا يتساوى جميع الناس، بل بنتائج مواقفهم يتفاضلون فيه فإذا (بالعربي) الذي تتوغل عروقه في عمق القبائل العربية، والذي يسبق بهذه الصفة

حسب الثقافة السطحية ـ غيره يصبح تالياً بينما يسبق العبد، أو المولى وهو بحسب تلك الثقافة ـ متأخر طبيعياً.

وربما كان هذا هو السبب وراء تقدم الموالي في الأمة الإسلامية في تاريخها الأول فنحن نجد أن منهم العلماء والفقهاء، بل وحتى المجيدين من شعراء اللغة العربية، مما لا يتسع المجال لبحثه. ذلك أن كثيراً من العرب رأوا أن (عروبتهم) كافية في تفضيلهم على من سواهم، فقصروا في طلب المعالي بينما شمر أولئك عن ساعد الجد فإذا بهم السابقون في كثير من المجالات.

وهذا هو سر التقدم إذ أن «من قصر به عمله، لم ينهض به نسبه»، كما يقول أمير المؤمنين!. وهكذا فخلاصة حياة الإنسان: عمله وعلمه ومواقفه في الحياة، وقد أدرك هذا السر عدد من موالي أهل البيت عليهم السلام فتسلقوا سلم مجد الخلود، وفاقوا بمواقفهم الحرة، ألوف الرجال الأحرار نسباً.. وكان قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام من هذا النوع..

لم يهتم المؤرخون بذكر نسبه، إلاّ بمقدار أنهم قالوا: أنه من مضر!! ربما جرياً على العادة في إغفال ذكر الموالي والخدم من الذكر، لأنه لا يتوقع أن يوجد من يهتم بأنسابهم، ولا يتوقع أن يكون لهم كبير أثر أو ذكر في التاريخ.

وربما إذا كنا متفائلين لأنهم اكتفوا بنسبته إلى دوره أو موقعه من أمير المؤمنين عليه السلام فإذا ذكر اسم قنبر كان ذلك كافياً لتعريف شخصيته بناء على الموقع الذي كان يمثله من أمير المؤمنين علي، ومتى كان يرفع الإنسان نسبه إن قعد به عمله ودوره؟ وهل ﴿لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾؟!

قيل في صفاته كان قنبر غلام علي يحب علياً حباً شديداً فإذا خرج على أثره بالسيف فرآه ذات ليلة فقال: مالك يا قنبر؟! قال: جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين!

فقال: ويحك أمن أهل السماء جئت تحرسني أم من أهل الأرض؟!

قال: لا بل من أهل الأرض! فقال: إن أهل الأرض لا يستطيعون شيئاً إلا بإذن الله.. ارجع.

وكان يصحب أمير المؤمنين عليه السلام في جولاته التفقدية، التي يمر من خلالها على العوائل المحرومة والمستضعفة، وفي كل لقاء كان يتعلم دروساً في خدمة الناس وحب الفقراء من أب المساكين.

وكان يكلف من قبل الإمام عليه السلام بتنفيذ أوامره، فقد ورد اسمه في الشعر المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أوقدت ناري ودعوت قنبرا

وقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول في صفين:

إني إذا الموت دنا وحضرا شمرت ثوبي ودعوت قنبراً

وهكذا تحول إلى (يمين) لأمير المؤمنين، بحيث إننا نلتقي اسمه في كثير المواطن، ففي القضاء، يناديه أمير المؤمنين للتفريق بين الشهود وأخذ أقوالهم وفي جلب الطعام للفقراء يكون مع الإمام وفي الحرب.. وهكذا، تحول هذا الخادم الغلام إلى رجل من (السابقين المقربين من أمير المؤمنين ومن خواص أصحابه).

لقد كان يرى في أمير المؤمنين عليه السلام قرآناً ناطقاً يعـيش بـين الناس، يعجب بطريقة حياته!! فها هو في الليل يخـرج إلى ظـاهر الكوفة وهو الحاكم، وقد أرخى الليـل سـدوله وغـارت نجومـه، ويبكي بدموع ساخنة مالئاً محيطه بآهات الشوق إلى الله سـبحانه وتعالى، ويغمى عليه فيسقط كالخشبة اليابسة، ويعود بعد ذلـك إلى حيث يتفقد رعيته، يستوقفه صوت بكاء الأطفال..

لا شيء يهـز هـذا الرجـل الـذي هـز بـاب خيـبر، كبكـاء الأطفال، كأن قوة مغناطيسية تسحبه نحو مصدر الصوت.. طـرق الباب، وخرجت امرأة سألها:

ـ ما بال الأطفال يبكون؟! فأجابت.

ـ أضر بهم الجوع والبرد!! والتفت الإمام فإذا في ناحية الدار قدر تحت نار مشتعلة فسألها:ـ وماذا في القدر؟! قالت:

ـ لاشيء غير الماء.. أخدعهم به حتى يناموا!!.

وأسرع وأسرع معه قنبر إلى بيت المـال، وحمـل جرابـاً مـن الطحين وشيئاً من الدهن وعادا.. وبينما أراد قنبر أن يحمـل عـن الإمـام الجـراب أبى ذلـك لأن «صـاحب العيـال أحـق بحمـل طعامهم».. ولم يكتـف بـذلك بـل أخـذ يـصنع لهـم الخبـز، ثم أطعمهم وخرج!![1]

وهكذا كان في كل موقف يتعلم دروساً..

---

(١) ذلكم الإمام علي، السيد هادي المدرسي.

أشفق قنبر على أمير المؤمنين، لما رأى ما هو عليه من جشوبة العيش وخشونة الملبس، فأراد أن يغير ذلك.. يقول زادان: انطلقت مع قنبر إلى علي عليه السلام فقال: قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئة!! فقال عليه السلام: فما هو؟! قال قنبر: قم معي.

فقام وانطلق إلى بيته فإذا بأسنة (خيشة كبيرة) مملوءة جامات من ذهب وفضة. فقال قنبر: يا أمير المؤمنين إنك لا تترك شيئاً إلا قسمته، فادخرت هذا لك.

قال عليه السلام: لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً كثيرا!! فسل سيفه فضربها فانتثرت من بين إناء مقطوع نصفه أو ثلثه. ثم قال: اقسموه بالحصص ففعلوا وجعل يقول:

هذا جناي وخياره فيه ... إذ كل جان يده إلى فيه [1]

وهكذا تحول الخادم إلى أحد خواص أمير المؤمنين عليه السلام... ولذلك عندما طلب الحجاج أن (يتقرب إلى الله بدم رجل من أصحاب أبي تراب!!)، قيل له: ما نعلم أحداً كان أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه.

ويكفي لمعرفة شخصيته، التعرف على الحوار الذي دار بينه وبين الحجاج الثقفي.. فقد أحضر قنبر فقال له الحجاج: من أنت؟! فقال قنبر: «أنا مولى من ضرب بسيفين، وطعن برمحين، وصلى القبلتين وبايع البيعتين، وهاجر الهجرتين، ولم يكفر بالله

---

(١) سفينة البحار ٢/ ٤٤٩.

طرفة عين، أنا مولى صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وخير الوصيين، وأكبر المسلمين ويعسوب المؤمنين ونور المجاهدين ورئيس البكائين، وزين العابدين، وسراج الماضين، وضوء القائمين، وأفضل القانتين، ولسان رسول رب العالمين، وأول المؤمنين من آل ياسين المؤيد بجبرائيل الأمين، والمنصور بميكائيل المتين والمحمود عند أهل السماوات أجمعين، سيد المسلمين والسابقين، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين، والمحامي عن حرم المسلمين ومجاهد أعدائه الناصبين ومطفئ نار الموقدين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله أمير المؤمنين، ووصي نبيه في العالمين وأمينه على المخلوقين، وخليفة من بعث إليهم أجمعين، سيد المسلمين والسابقين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان كلمة العابدين، ناصر دين الله، وولي الله، ولسان كلمة الله، وناصره في أرضه وعيبة علمه، وكهف دينه، إمام الأبرار من رضي عنه العلي الجبار سمح سخي، بهلول سنحنحي ذكي مطهر أبطحي، باذل جريء همام، صابر، صوام، مهدي، مقدام، قاطع الأصلاب، مفرق الأحزاب، عالي الرقاب، أربطهم عناناً وأثبتهم جناناً، وأشدهم شكيمة، باذل، باسل صنديد، هزبر، ضرغام، حازم، عزام، حصيف خطيب، محجاج، كريم الأصل، شريف الفضل، فاضل القبيلة نقي العشيرة، زكي الركانة، مؤدي الأمانة، من بني هاشم وابن عم النبي، والإمام مهدي الرشاد، مجانب الفساد، الأشعث الحاتم، البطل الحماحم، والليث المزاحم بدري، مكي، حنفي، روحاني، شعشعاني من الجبال شواهقها، ومن الهضاب رؤوسها، ومن العرب سيدها، ومن الوغى ليثها

البطل الهمام، والليث المقدام، والبدر التمام محك المؤمنين، ووارث المشعرين وأبو السبطين، الحسن والحسين، والله أمير المؤمنين حقاً، علي بن أبي طالب عليه من الله الصلوات الزكية، والبركات السنية»[١].

فلما سمع الحجاج منه ذلك قال له: ابرأ من دينه.

فقال قنبر: فإذا برئت من دينه تدلني على دين غيره أفضل منه؟!.

قال: إني قاتلك فاختر أي قتلة أحب إليك؟!.

قال له: قد صيرت ذلك إليك، قال: ولم؟!.

قال قنبر: لأنك لا تقتلني ألا قتلتك مثلها وقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام إن ميتتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حق، فأمر به فذبح.

---

(١) تنقيح المقال ٢/ ٣٠. .

مالك بن نويرة التميمي اليربوعي

الوفاة: قتلاً بأمر خالد بن الوليد سنة ١١ هـ

«من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل»

الرسول الأكرم ﷺ

في ليلة ظلماء، وبغارة مفاجئة استطاع المهاجمون أن يسيطروا على الموقف وأن يغنموا حيّ مالك بن نويرة، الذي كان غائباً. وما هي إلا ساعة حتى كان الرجال أسرى والنساء غنائم، والأنعام مصادرة، وانتهت الغارة..

ووصل الصريخ إلى مالك، ولم تمهله حميته لكي يستريح أو يتريث، فخرج في آثارهم حتى أدركهم على مسيرة ثلاث يقتسمون الأموال بينهم بعد أن آمنوا الطلب. وما أن رأوه من بعيد حتى أرسلوا ما كان في أيديهم من الأسرى وساقوا النعم هاربين بها، إلا أن شدة طلبه أجبرتهم على أن يتركوا الأنعام ليشتغل بجمعها عن طرادهم، وليتخففوا في هربهم إلا أنه استمر يتابعهم حتى رجع بهم مكتوفين.

نعم فقد كان مالك بن نويرة رجلاً سرياً نبيلاً يردفه الملوك وللردافة موضعان أحدهما أن يردفه الملك على دابته في صيد أو

غيره من مراضع الإنس. والموضع الثاني أنبل وهو أن يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده. وهو الذي يضرب به المثل فيقال: مرعى ولا كالسعدان، وماء ولا كصدّاء وفتى ولا كمالك، وكان فارساً شاعراً مطاعاً في قومه وكان فيه خيلاء وتقدم وكان ذا لمة كبيرة، وكان يقال له الجفول[1].

هذا الفارس الشريف كان لا بد أن يسلم بعد أن سمع عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعن دعوته لذلك قدم على النبي في وفد قومه ومعه ولاء قومه وطاعتهم، وآمن برسول الله!. وتعلم من الرسول أصول الإسلام، ومعارفه، وعرف منه من يوالي ومن يعادي، ولمن يستجيب بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وعاد..

عاد ومعه معارف الدين، وولايته على صدقات قومه من قبل الرسول وأهم من ولايته عليهم معرفته بالقائد الذي سيخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومرت الأيام ساكنة في حيه، فلقد أنهى رسول الله بسيطرته على قلوب الناس عقود الخوف والسيف، والغارات، واستسلم الناس عنده لهذا الدين، الذي أكسبهم الطمأنينة وأعطى لوجودهم قيمة، ولقوتهم جهة.

هاهم ـ بعد أن كانوا قبل نعمة الإسلام يشنون الغارة تلو

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٣.

الغارة من أجل ناقة، أو بعير، هاهم الآن يعطون طواعية زكاة أموالهم، وينتخبون الأفضل منها لإعطائه إلى والي رسول الله عليهم والمبرز فيهم مالك بن نويرة.

إلا أن هذه الأيام الساكنة في حيه كانت حبلى بالأحداث في المدينة، فقد كان الرسول لا يفتأ يبعث الجيش أثر السرية ويخوض المعركة تلو الأخرى وانتقل محور نشاطه وعمله العسكري من الجزيرة العربية إلى أطرافها وإلى البلاد الأخرى التي كانت تهدد الدعوة الإسلامية.

و إذا كان ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[1] فإن رسول الله كان أولى بذلك إذ أنه (حبيب) ربه وكل حبيب في شوق لحبيبه..

وكما أودع النبي كتاب الله، أودع أهل بيته وعترته علياً وفاطمة والحسنين أمته، وأغلق عينيه الكريمتين مودعاً.

ووصلت أخبار وفاة الرسول القائد إلى أطراف المدينة، وجاء الولاة والوفود، البعض جاء بهم حب الاطلاع على ما حدث، والبعض الآخر جاء بهم طموحهم في الاشتراك في تقرير أمر المسلمين وخلافة الرسول، وجاء غيرهم ليؤدوا صدقاتهم وزكواتهم إلى (الإمام) بعد الرسول، ويعرضوا فروض الطاعة، ومن هؤلاء كان مالك. فقد جاء لينظر من الإمام حتى يسلم إليه زكاته، ومن بوابة المسجد رأى أبا بكر على منبر الرسول، وتعجب!!.

ترى هل كان الرسول مخطئاً في تحديد الإمام بعده؟!.

---

(١) الرحمن: ٢٦

أم كان مالكاً لم يسمع الاسم بشكل صحيح؟!.

أم أن أبا بكر ليس إلا خطيباً، فوق المنبر، يلقي موعظة قبل الإمام أو بعده؟!.

والتقى خلص أصحاب رسول الله.. وشاهد (الفيلم) بكامله.

وعاد..

عاد هذه المرة وهو يحمل معه همّ الدنيا. وجالت الأفكار في رأسه في معركة لم يسبق لها عنده مثيل.. فكيف يمكن أن يحدث هذا؟! ترى هل كتب علينا ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، وما الذي نقموا من ذلك البطل؟!.

وكيف أبعدوه؟! نقموا منه نكير سيفه وقتله للمشركين من قريش حتى أدخل بيوتها اليتم والثكل؟ وهل كانوا يتوقعون منه أن يطعم هؤلاء الحلوى وقد برزوا لقتل الرسول؟ هل كان عليه أن يقدم لهم الزهور؟!.

عاد إلى قومه، الذين خفوا إليه مسرعين.. و قرءوا كامل الرسالة في عنوان وجهه.. لقد عاد بغير الوجه الذي ذهب به، طابع الحزن لا يمكن أن تخفيه ابتسامة.

واستقال من إمرهم، ومن الولاية على الصدقات، لأنه إذا لم يكن يعترف بالخليفة البديل فهل يكون موظفاً عنده؟! لكنه قبل ذلك قام بعملين: أعاد إليهم زكواهم وصدقاهم، وأمرهم أن لا يجتمعوا، إذ أن ذلك يعني في رأي حكومة الخلافة ردة، وتمرداً وبالتالي القتل بدلاً من الحرق!! نعم الحرق!.

فعلى الطرف الآخر كان خالد..

خالد بن الوليد المخزومي، صاحب الموقف الشهير مع جذيمة بالغميصا حيث جرّد فيهم سيفه، وأعمل فيهم سلبه، لثأر بين بني مخزوم وبني جذيمة في الجاهلية، خالد صاحب الموقف مع الرسول الذي تبرأ من عمله وأرسل علياً ليصلح ما خرق خالد ويدفع دية الضحايا، وتعويض المتاع ـ حتى (المركن).

خالد صاحب السيف المراهق[١]..

لقد أعجبه الغزو.. ولم لا؟!.

(وسار خالد بعد أن فرغ من فزارة وأسر وطي وغطفان، يريد البطاح[٢] وبها مالك بن نويرة قد تردد عليه أمره، وتخلفت الأنصار عن خالد وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا إن نحن فرغنا من بزاخة أن نقيم حتى يكتب إلينا).

فقال خالد: قد عهد إليّ أن أمضي وأنا الأمير!! ولو لم يأت كتاب بما رأيته فرصة وكنت أن أعلمته فاتتني.. لم أعلمه!![٣].

لقد كان الأمير خالد.. يراها فرصة إن فاتت لن تعوض!! فماذا يهمه أن يكون مكلفاً من الخليفة أم لم يكن؟! إنه لو احتمل ضياع الفرصة بإخباره الخليفة فلن يخبره..

وهكذا نزل البطاح، حيث مسكن مالك وقومه، وأهم من

---

(١) قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: (إن في سيف خالد رهقا) وكثر عليه في ذلك، كامل ابن الأثير ٢/ ٣٥٨.
(٢) البطاح: بضم الباء.. حي مالك بن نويرة وقومه.
(٣) الكامل ٢/ ٣٥٧.

ذلك:

أم متمم زوجة مالك (وكانت غاية في الجمال)، فهل تترك هكذا فرصة لرأي الخليفة؟.

ولأن مالكاً كان قد عهد إلى قومه أن يتفرقوا لكيلا تحسبها الخلافة ردة وتمرداً، فلم يواجه خالد وسريته مقاومة تذكر، غير أنهم عثروا على مالك ومعه عدد من قومه وكان قد حضر وقت الصلاة فأذنوا وأقاموا وصلوا.. فهجموا عليهم، فسألوهم عن ذلك، فقال جمع من سرية خالد: إنهم بعث من قبل الخليفة جاؤوا لقتال المرتدين.. فردّوا عليهم بأنهم مسلمون، وقد أذنوا وأقاموا وصلّوا للتوّ، فطلبوا من مالك وقومه أن يضعوا سلاحهم ثم جاؤوا بهم إلى السيف المسلول خالد.. وكان أبو قتادة الأنصاري في بعث خالد فشهد أنهم أذنوا وأقاموا الصلاة.. وبهذا شهد عبد الله بن عمر الذي كان في البعث أيضاً، لكن خالداً لم يكن ليرده عن قراره شهادة جميع أهل الأرض بإيمان مالك وقومه.

وطلب مالك من خالد أن يرسله إلى أبي بكر فيكون هو الحاكم فيهم، وأكد على قوله عدد من جيش خالد، ممن رآهم مصلّين، (فالحدود تدرأ بالشبهات) ولكن الذي يتحرك هنا، ويحرّك الأحداث لم يكن الشرع ولا العقل.. صاح خالد: لا أقالني الله إن أقلتك! وتقدم إلى ضرار بن الأزور الأسدي يضرب عنقه والتفت مالك إلى زوجته أم متمم وقال لخالد:

ـ هذه التي قتلتني!! وكانت غاية في الجمال.

فقال له خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام!!.

قال مالك: أنا على الإسلام[١].

ولم يطق السيف المسلول الصبر أكثر من ذلك فقال لـضرار: اضرب عنقه.. وانتهى الفصل الأول من هذه العملية العسكرية ليبدأ الفصل الأساسي فيها، بينما انتهى الفصل الأخير في حياة مالك بن نويرة التميمي اليربوعي صاحب رسول الله وواليه على الصدقات والذي من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إليه[٢].

ونصبت رؤوس المؤمنين المقتولين أثافي للقدور حتى يطبخ عليها طعام الجيش المنتصر!! ونضج الطعام قبل أن تخلص النار إلى رأس مالك لكثرة شعره.

ودخل خالد (سيف الله المسلول)، في ليلته بزوجة مالك المقتول!! وتماماً كما قال مالك: هذه هي التي قتلتني! وهكذا:

قضى خالد بغياً عليه لعرسه

وكان له فيها هوى قبل ذلك

فأمضى هواه خالد غير عاطف

عنان الهوى عنها ولا متمالك

وأصبح ذا أهل وأصبح مالك

إلى غير شيء هالكا في الهوالك[٣]

(١) وفيات ا لأعيان ٦/ ١٤.
(٢) تنقيح المقال ٢/ ٥١.
(٣) وفيات الأعيان ٦/ ١٥. وتاريخ الإسلام للذهبي حوادث عهد الخلفاء الراشدين

وفي المدينة المنورة، وحيث سبقت أخبار الحادثة، رجوع أصحابها، ولم يمكن تبريرها، حيث كانت القضية أوضح من التأويل فقد أقسم أبو قتادة الأنصاري وهو من شهود الحادثة أن لا يخرج في بعث أميره خالد بعدها.. بل إن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر، بعد أن بلغهما الخبر:

ـ إن خالداً قد زنا فارجمه! فقال الخليفة:

ـ ما كنت لأرجمه، إنه تأول فأخطأ!! فأجابه:

ـ إنه قتل مسلماً فاقتله به. فقال أبو بكر:

ـ ما كنت لأقتله إنه تأول فأخطأ!!.

فقال له:ـ فاعزله.

قال: ما كنت لأشيم سيفاً سلّه الله عليهم أبداً!.

وهكذا استبيح دم رجل شريف نبيل، في الدنيا، ومن أهل الجنة في الآخرة بدعوى التأوّل الخاطئ، ثم استبيح عرض زوجته، أيضاً بدعوى التأول الخاطئ، ولم يتعرض القائد القاتل ثم المتعدي على زوجته إلا إلى المكافأة والتشجيع!![1].

---

(١) المصدر السابق.

صعصعة بن صوحان العبدي

توفي سنة ٥٦ منفياً في البحرين

«ما كان مع أمير المؤمنين من يعرف حقه إلاّ صعصعة وأصحابه».

الإمام الصادق عليه السلام

«إنك ما علمت حسن المعونة خفيف المؤونة».

أمير المؤمنين عليه السلام

❋❋❋❋

بين اللسان والسنان علاقة. لأن كلاً منهما أهميته بحامله فلو تجرد اللسان عن الجنان الثابت لما عُبئ به، وكذلك السنان لو كان بيد جبان. وحين يجد كل منهما ما يعتمد عليه تصبح الطعنة تاريخاً والكلمة أمة.

ولم يكن الطغاة يخافون إلاّ من الطعنة التي تتحول إلى تاريخ ومن الكلمة التي تصنع أمة، وكانوا يخافون من الثانية أكثر لأنها تصنع الأولى. لماذا كانت الشجاعة تمتحن في ميادين القتال فإن البطولة تعرف في مواطن التحدي حيث النطق بكلمة الحق يساوي سقوط الرأس على النطع..

وإذا كان المؤمن سيدخل معركة عسكرية واحدة أو كثر فإن حياته سلسلة من الصراع الديني والثقافي مما يحتم عليه استخدام سنان اللسان سلاحاً ودفاعاً.

والنموذج الذي بين يدينا من جمع إلى شجاعة السنان بطولة اللسان.. إنه صعصعة بن صوحان العبدي.

«صعصعة عظيم الشأن عضب اللسان، قائد فرسان قاتل أقران، يرتق ما فتق، ويفتق ما رتق، قليل النظير»[1]. كما قال عقيل بن أبي طالب..

أول موقف سجله التاريخ له موقف نباهة وذكاء مع الخليفة عمر بن الخطاب إذ بعث أبو موسى الأشعري مبلغ ألف ألف درهم (مليون) من بعض فتوحاته إلى المدينة. وقام الخليفة عمر بتوزيع هذه الأموال طبقاً للسياسة المالية التي اتخذها في عهده، ولكن فضلة من المال بقيت وبقي معها الخليفة عاجزاً عن التصرف فيها، فقام خطيباً وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: أيها الناس قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس فما تقولون فيها؟!.

فقام صعصعة بن صرحان وهو غلام شاب فقال: إنما تشاور الناس فيما لم ينزل الله فيه قرآناً، وأما ما أنزل الله به القرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعها الله تعالى فيها.

فقال عمر: صدقت أنت مني وأنا منك.. نقسمه بين

---

(١) مروج الذهب ٣/ ٤٦.

المسلمين.

إلا إن دخوله إلى ساحة السياسة بشكل فعّال تم في أيام الخليفة عثمان ذلك أن الأوضاع العامة في عهده قد ساءت بصورة لم يسبق لها مثيل بينما تولّى بنو أمية وآل أبي العاص تحويل الخلافة الإسلامية إلى شركة مساهمة أموية، وأصبح السواد- وهو العمق الاستراتيجي للزراعة في العراق، ومصدر التمويل الأساسي لخزينة الدولة- أصبح بستاناً لقريش.

وبينما عاد طرداء رسول الله أمثال الحكم بن أبي العاص وابنه مروان ليستمتعوا بخراج بستان قريش، فقد طرد أصحاب رسول الله الخلص من المدينة كأبي ذر، وعانى أمثاله أسوأ أنواع المعاملة فقد فتق بطن عبد الله بن مسعود وضرب عمار بن ياسر.

وكانت هذه وسواها من الأسباب التي جعلت جمهور المسلمين تغلي مراجل صدورهم ضده،. وزاد الطين بلة تعيينه أمثال الوليد بن عقبة على الكوفة الذي كان يصلي مخموراً ويتقيأ في المحراب، ولم يقبل بإقامة الحد عليه لأنه من أقاربه، (كان عثمان لا يترك صلة رحمه).

لذلك تنادت جماهير الأمة من مصرها إلى كوفتها إلى مدينتها بالثورة على عثمان، وكانت مطالب الثائرين معقولة، لأنها لم تطالب بتغيير الخليفة رأساً بل طالبت بإصلاح الأوضاع الفاسدة القائمة في تلك البلاد من عزل الولاة غير الصالحين، وتغيير سياساتهم السيئة إلاّ أن الخليفة لما كان في دوامة ريح مروان بن الحكم، فإنه واجه الناصحين بالعنف، وكان لا بد أن يجرّ العنف

عنفاً مثله أو أكثر..

ها هو صعصعة مع وفد من المصريين داخلين على الخليفة ويقدمون صعصعة متكلماً. فيستصغره عثمان قائلاً: هذا؟!.

قال صعصعة: لو أن العلم لو كان بالسن لم يكن لي ولك فيه سهم ولكنه بالتعلم.

فقال عثمان: هات..

قال صعصعة: فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[1]. فقال عثمان: فينا نزلت هذه الآية.

قال صعصعة: فمُر بالمعروف وانهَ عن المنكر.

كان عثمان يتصور أن المجلس للافتخار بينما قدم أولئك في قضية إصلاح لذلك قال له مرة أخرى:

ـ دع هذا وهات ما عندك.

قال صعصعة: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[2].

فقال عثمان: وهذه أيضاً نزلت فينا.

---

(١) الحج:٤١
(٢) الحج:٤٠

قال صعصعة: فأعطنا بما أخذت من الله.

عثمان: عليكم بالسمع والطاعة فإن يد الله مع الجماعة وأن الشيطان مع الفرد فلا تسمعوا إلى قول هذا، وأن هذا لا يدري من الله ولا أين الله!!.

صعصعة: أما قولك عليكم بالسمع والطاعة فإنك تريد منا أن نقول غداً ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾[1]. وأما قولك إني لا أدري من الله فإن الله تعالى ربنا ورب آبائنا الأولين، وأما قولك لا أدري أين الله فإن الله تعالى بالمرصاد[2].

غضب عندها الخليفة وطرد الوفد وأغلق الأبواب، ومع إغلاقها أقفل خط التفاهم بين الجمهور المعترض وبين الخليفة.

وتسارعت الأحداث في تطور غير محسوب، وكانت نار الثورة كلما هدأت، أشعلها مروان بخبثه والخليفة باستجابته له، وذهبت محاولات أمير المؤمنين علي عليه السلام في تهدئة الأمور، والتوسط بين الفريقين، أدراج الرياح وهكذا وبعد أن «قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث عليه فتله وكبت به بطنته»[3].

---

(١) الأحزاب:٦٧

(٢) الخطيب الشحشح صعصعة بن صوحان/ ٥٥.

(٣) نهج البلاغة / خطبة رقم ٣ المعروفة بالشقشقية.

وقتل الخليفة عثمان على يد الثائرين!!.

وجاءت الجماهير التي افتقدت العدل إلى مثال العدالة، تهفو إلى حكمه كالفراشات إلى الضوء وشهد صعصعة وأمثالهم عودة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حكم علي عليه السلام.

وكان لا بد أن يتحرك خط المصالح للقضاء على العودة الرسالية إلى روح الإسلام، وإلاّ انتقض غزل السنوات الماضية. ذلك أن تفرغ علي عليه السلام يعني أن تصبح ديار الظلم بلاقع، وأن هذه الثروات التي جمعت من الحرام تصادر، وأن الدين يرجع خالصاً لله، فلا يصبح وسيلة ارتزاق..

وفي هذا ما لا يعجب الكثيرين.. لذلك اشتعلت الأرض تحت قدمي أمير المؤمنين حروباً وفتن. وكان المطلوب أن يكون الهم العسكري هو الأول لكيلا يتفرغ لهمّ الإصلاح الداخلي..

فكانت الجمل.. حيث خرجت زوجة رسول الله، التي أمرت بالبقاء في منزلها بنص القرآن: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[1]!!.

ها هو كتاب يصل إلى زيد بن صوحان، أخ صعصعة، زيد الذي أرسل يده إلى الجنة، بعد أن قطعت في معركة جلولاء، مستلماً مجموعة أوامر عسكرية:

«من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان.. سلام عليك أما بعد فإن أباك كان رأساً في الجاهلية وسيداً في

(١) الأحزاب:٣٣

الإسلام وأنك من أبيك بمنزلة المصلي من السابق[١] يقال عاد أو لحق وقد بلغك الذي كان في الإسلام من مصاب عثمان بن عفان ونحن قادمون عليك والعيان أشفى لك من الخبر فإذا أتاك كتابي هذا فثبط الناس عن علي بن أبي طالب وكن مكانك حتى يأتيك أمري والسلام».

ولما كان زيد كأخيه صعصعة على وعي كاف بالمواقف المطلوبة، فقد كان إلى جانب أمير المؤمنين! بصلابة، فقد كتب زيد جواباً:

«من زيد بن صوحان إلى عائشة أم المؤمنين.. سلام عليك: أما بعد فإنك أُمرت بأمر وأُمرنا بغيره. أمرت أن تقرّي في بيتك وأمرنا أن نقاتل الناس حتى لا تكون فتنة فتركت ما أمرت به وكتبت تنهينا عمّا أمرنا به، فأمرك عندي غير مطاع وكتابك غير مجاب»[٢].

وكان صعصعة و إخوانه أول المبادرين صفوف أمير المؤمنين عليه السلام للقتال فكانوا يخترقون الصفوف إلى القلب بعزم ثابت، وهمهم عقر الجمل الذي تحول إلى رمز لفقدان الوعي وبينما كان بنو ضبة يحوطون الجمل فإذا بعر الجمل، أخذوا بعره ووضعوه على آنافهم قائلين: إن رائحة بعر جمل أمّنا أطيب من

---

(١) السابق الذي يأتي أولاً في سباق الخيل والمصلي الذي يأتي بصلته بعده مباشرة.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦/ ٢٢٧. وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب والجمل للمفيد وغيرها.

المسك[1]!!.

وقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام: «كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة رغا فأجبتم وعقر فهربتم»[2].

في المقابل كان البدريون والمهاجرون يحتفون بكوكب الهداية أمير المؤمنين علي عليه السلام يتسابقون إلى القتال، وهمهم عقر الجمل، فاستشهد زيد وسيحان أخوا صعصعة الذي جرح فحمل وقد أثخنته الجراح.

واستمر صعصعة مع إمامه لا تزيده كثرة المصاعب إلاّ نقاء وزيادة إخلاص، فها هو يرى نفسه يواجه مع علي عليه السلام رايات الجاهلية الجديدة، وعلى رأسها الطلقاء وأبناء الأدعياء فيزيده ذلك بصيرة، أنه وإن لم يدرك صحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقاتل تحت لوائه آنئذ، فها هو يقاتل تحت نفس اللواء بيد أمير المؤمنين عليه السلام.

ذاك هو معاوية ابن أبي سفيان والده عدو الرسول، وهو عدوّ الوصي ومعه جموع من أخلاط الناس ودهمائهم ممن لا يفرق بين الناقة والبعير، جمعهم المال من كل صوب، وقد سبق إلى صفين بجنده فسيطر على شريعة الفرات وجعل عليها أبا الأعور السلمي في عدد كبير من محاربيه ليمنع أصحاب أمير المؤمنين من الماء..

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٥٣
(٢) نهج البلاغة ١/ ٤٤

فدعا الإمام صعصعة وأرسله إلى معاوية ليقول له: أنا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم فقدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وهذه أخرى قد فعلتموها منعتم الناس من الماء، والناس غير منتهين فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء وليكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له فإن أردت أن تترك ما جئنا له ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب، فعلنا[١].

وأدى صعصعة الرسالة لمعاوية، واستقر رأي معاوية ومستشاريه على منع الماء، ولذلك حمل الأشتر في مجموعة من الجيش على الشريعة حتى امتلكها وأزاح عنها عسكر معاوية، وبالرغم من اقتراح بعض الأصحاب على الإمام أن يمنع الماء عن أهل الشام فقد قال: خلوا بينهم وبينه لا أفعل ما فعله الجاهلون..

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

وحين حدثت فتنة الخوارج، كان صعصعة ممن قد أبصر النور فلم يستبدل به الظلام. بينما سدر أولئك الرجال في غيهم، أطالوا لحاهم وقصروا عقولهم، ولم ينفعهم كثرة صلاتهم وصومهم مع تعطيل عقولهم و إغلاق عيونهم، فمرقوا من الدين كما يمرق السهم عن الرمية.. وكان صعصعة هناك بلسانه وبسنانه بعدئذٍ!.. فقد قال الإمام علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين

(١) الكامل لابن الأثير ٢/ ٢٨٤.

ائذن لي في كلام القوم.

فقال الإمام: نعم.. ما لم تبسط يداً.

فنادى صعصعة ابن الكواء فخرج إليه فقال صعصعة:

أنشدكم بالله يا معشر الخارجين أن لا تكونوا عاراً على من يغزو لغيره وأن لا تخرجوا بأرض تسموا بها بعد اليوم ولا تستعجلوا ضلال اليوم خشية ضلال عام قابل..

وفي محاولة ثانية أرسل أمير المؤمنين عليه السلام صعصعة بن صوحان ليناقش الخوارج، فذهب إليهم.. فقالوا له:

ـ أرأيت لو كان علي معنا في موضعنا أتكون معه؟! قال: نعم.

قالوا: فأنت مقلّد علياً دينك أرجع فلا دين لك!!.

عجيب أمر هؤلاء.. يوم أمس أكرهوا علياً عليه السلام تحت تهديد السلاح ليغمد سيفه وينتهي إلى (حكم القرآن) كما زعموا، وبالرغم من إصرار مالك الأشتر، أمهلوني فواق ناقة حتى تنتهي الحرب بالنصر، فلم يسمعوا وكان معاوية قد جهز راحلة الهزيمة.. فهددوه بقتل الإمام إن لم يعد.. واليوم ها هم يشهرون السلاح في وجه الإمام لأنه قبل (بحكم القرآن)!!.

ما الذي ينفع المرء إن ضُرب على قلب هدايته، ونور بصيرته؟! فقال لهم صعصعة: ويلكم ألا أقلد من قلد الله فأحسن التقليد فاضطلع بأمر الله صديقاً لم يزل، أوَلم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتدت الحرب قدمه في لهواتها فيطأ صماخها

بأخمصه ويخمد لهيبها بحده مكدوداً في ذات الله فأنى تصرفون؟! وأين تذهبون؟ وإلى من ترغبون وعمن تصدفون؟ عن القمر الباهر والسراج الزاهر وصراط الله المستقيم. قاتلكم الله أنّى تؤفكون؟ أفي الصديق الأكبر والغرض الأقصى ترمون طاشت عقولكم وغارت حلومكم وشاهت وجوهكم لقد علوتم القلة من الجبل وباعدتم العلة من النهل.

أتستهدفون أمير المؤمنين عليه السلام ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لقد سولت لكم أنفسكم خسراناً مبيناً فبعداً وسحقاً للكفرة الظالمين، عدل بكم عن القصد الشيطان وعمى لكم عن واضح الحجة الحرمان.

فقال عبد الله بن وهب الراسبي وهو زعيم الخوارج: نطقت يا ابن صوحان بشقشقة بعير وهدرت فأطنبت في الهدير، أبلغ صاحبك أنا مقاتلوه على حكم الله والتنزيل.

وأجابه صعصعة: كأني أنظر إليك يا أخا راسب مترملاً بدمائك يحجل الطير بأشلائك لا تجاب لكم داعية ولا تسمع لكم واعية يستحل ذلك منكم إمام هدى[1].

وإذا كان أول الحرب الكلام، فما لبث الكلام أن انتهى ودارت رحى المؤمنين على المارقين فيها، وما قتل من عسكر أمير المؤمنين عشرة ولا سلم من الخوارج عشرة تماماً كما أخبر عليه السلام.

---

(١) الاختصاص/ ١٢١.

وكان صعصعة يبحث عن رأس الأفعى، عبد الله بن وهب الراسبي، فوجده وقد علاه أبو أيوب الأنصاري بالسيف فأطار يده وقال بؤ بها إلى النار يا مارق.. فقال الراسبي: ستعلم أيّنا أولى بها صليا.. وهنا وصل صعصعة فوقف عليه قائلاً:

ـ «أولى بها صلياً من ضلّ في الدنيا عمياً وصار إلى الآخرة شقياً أبعدك الله وأنزحك أما والله لقد أنذرتك هذه الصرعة بالأمس فأبيت إلاّ نكوصاً على عقبيك فذق يا مارق وبال أمرك»[1].

وأهوى بما ملك من قوة عليه بضربة أبان رجله، ثم بأخرى في بطنه، وعجل به إلى الهاوية.

وعاد أمير المؤمنين عليه السلام وملء قلبه الهم، ولو كان غيره لأقيمت له أقواس النصر.. ملء قلبه الحزن على مصير هذه الفئات الضالة.

عاد ليمسح الجروح الجديدة التي أضافها الخوارج على جبين الأمة،بعد الجمل وصفين ولم يمهله خفافيش الليل، فتحرك عبد الرحمان بن ملجم بدافع الجنس والرغبة في قطام، تلك المرأة المعتكفة في حقدها وهواها، مع ساعات الفجر الأولى، وبضربة سيف مسموم فلق رأس الإمام عليه السلام وهو ساجد في بيت الله..

لقد كان بيت الله بدء حياته حيث ولد في الكعبة، وكان بيت الله مسك الختام..

---

(١) مروج الذهب ٣/ ٥٦.

لكأنّ السيف المسموم لم ينزل على مفرق أمير المؤمنين بل على هيكل آمال المؤمنين، وعلى بسمات الفقراء وقلوب الأرامل واليتامى.. ومَن من المسلمين بقي غير يتيم؟!.

لقد وقف صعصعة بعد أن دفن مع الإمام آماله في حكومة الحق والعدل، واضعاً يده على قلبه الجريح، والأخرى قد أهال بها التراب على رأسه.. وبكى قائلاً:

بأبي أنت وأُمي يا أمير المؤمنين، هنيئاً لك يا أبا الحسن فلقد طاب مولدك وقوي صبرك، وعظم جهادك وظفرت برأيك وربحت تجارتك، وقدمت على خالقك، فتلقاك ببشارته وحفتك ملائكته واستقررت في جوار المصطفى فكرمك الله بجواره ولحقك بدرجة أخيك المصطفى وشربت بكأسه الأوفى فأسأل الله أن يمن علينا باقتفائنا أثرك والعمل بسيرتك والموالاة لأوليائك والمعاداة لأعدائك وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت ما لم ينله أحد، وأدركت ما لم يدركه أحد وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده، وقمت بدين الله حق القيام حتى أقمت السنن وأبدت الفتن واستقام الإسلام وانتظم الإيمان فعليك مني أفضل الصلاة والسلام.

بك اعتدل ظهر المؤمنين واتضحت أعلام السبل وما جمع لأحد مناقبك وخصالك، سبقت لإجابة النبي مقدماً مؤثراً وسارعت إلى نصرته، ووقيته بنفسك ورميت بسيفك ذي الفقار في مواطن الخوف والحذر، قصم الله بك كل جبار عنيد وذل بك كل ذي بأس شديد، وهدم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى وقتل بك أهل الضلال من العدى فهنيئاً لك

يا أمير المؤمنين. كنت أقرب الناس من رسول الله قربى وأولهم سلماً وأكثرهم علماً وفهماً فهنيئاً لك يا أبا الحسن فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك فو الله لقد كانت حياتك مغالق للشر وأن يومك هذا مفتاح كل شرّ ومغلاق كل خير ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة.

وهذه الكلمات بقدر ما كانت تفيض بحرارة العاطفة، فقد كانت مفعمة بعميق المعرفة منه لقائده عليه السلام..

واستمر صعصعة صلباً في خط علي عليه السلام، لا تهزه العواصف الأموية ولا تزيله عن موقفه قواصف التهديد، وماذا بعد الحق إلاّ الضلال أترى أحداً ذاق طعم قرب علي فتجرع مرارة معاوية إلاّ فاسد العقل والدين؟!.

لقد دخل معاوية الكوفة بعد أن خذل جيش الإمام الحسن عليه السلام قائده، وأخذ الإمام على معاوية شروطاً، وكتب أماناً لكبار صحابة أمير المؤمنين عليه السلام، ولقي معاوية صعصعة في الكوفة قائلاً:

ـ إني كنت أبغض أن تدخل في أماني!! فقال صعصعة:

ـ وأنا والله أبغض أن أسميك بهذا الاسم (إمرة المؤمنين).

ثم سلّم عليه بالخلافة فقال معاوية: إن كنت صادقاً فاصعد المنبر والعن عليّاً.

فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس أتيتكم من عند رجل قدم شرّه وأخّر خيره وأنه أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله» فضج أهل المسجد بقولهم: آمين، فلما علم معاوية.. قال والله ما عنيت بها غيري ارجع حتى تسمي الأسماء بأسمائها.. فرجع وصعد المنبر ثم قال:

ـ أيها الناس إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن علياً ابن أبي طالب فالعنوه. فضج الحضور بآمين فلمّا أخبر معاوية قال: والله ما عنى غيري.. ولم تكن هذه، الحادثة الوحيدة بين صعصعة ومعاوية فما من مجلس جمعهما إلاّ وتحول إلى مناظرة ومنافرة.

فقد دخل صعصعة عليه وهو يقول:

ـ الأرض لله وأنا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لي وما تركت منه كان جائزاً لي!!.

يقول ذلك وعنده (وجوه الناس) كما يقول المسعودي، فلا يقوم أحد ليسأله عن ذلك، لقد ختنت ألسنتهم!! فقال صعصعة، تلميذ علي عليه السلام الذي تعلم أن ينكر المنكر ما استطاع لذلك سبيلا:

تمنيك نفسك مالا يكون جهلاً معاويَ لا تأثم

فقال له معاوية: يا صعصعة تعلمت الكلام.

فقال: صعصعة:

ـ العلم بالتعلم ومن لا يعلم يجهل، فغضب معاوية وقال:

ـ ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرك. فأجابه صعصعة:

ـ ليس ذلك بيدك، ذلك بيد الذي لا يـؤخر نفـساً إذا جـاء أجلها.

ـ فسأله ومن يحول بيني وبينك؟!.

ـ الذي يحول بين المرء وقلبه، قال صعصعة.

فضاق به معاوية وقال: اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطـن البعير للشعير.

فقال: اتسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع[1].

ولم يتسع صـدر معاويـة (الحلـيم) علـى غـير أنـصار أمـير المؤمنين عليه السلام، لم يتسع صدره لوجود صعصعة في الكوفـة، لأنـه وهب جناناً كالسنان ولساناً قاطعاً، وسيفاً عند الحاجة لذلك أمر المغيرة بنفيه من الكوفة إلى البحرين، وتوفي فيها.

(١) مروج الذهب ٣/ ٥٢.. يشير صعصة إلى دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على معاوية أن لا يشبع الله بطنه!.

محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة

الوفاة: شهيداً سنة ٣٨ هـ في مصر

عمره ٢٨ سنة

«إنه كان لي ربيباً وكان لبنيّ أخاً وكنت له أعد والداً وأعده ولداً»

أمير المؤمنين علي عليه السلام

❀❀❀❀

خرج المسلمون إلى إحدى الغزوات.

وكانت المدينة على موعد مع مولود جديد، ففي بيت أبي بكر ابن أبي قحافة جلست زوجته أسماء بنت عميس تعد الليالي انتظاراً لمولودها، ولكنها تفيق هذه الليلة من نومها فزعة مرعوبة، فما هي تلك الرؤيا التي أقضت مضجعها؟!.

جاءت إلى عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

ـ رأيت في المنام كأن أبا بكر متخضب بالحناء رأسه ولحيته وعليه ثياب بيض.

وبكت عائشة:

ـ إن صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر.. إن خضابه الـدم وأن ثيابه أكفانه. وبكت أسماء بنت عميس، فما هـذا الحـظ الـسيئ، الذي يلاحقها؟! فقبل سنوات فقدت زوجها الأول جعفـر ابـن أبي طالب (الطيـار) في غـزوة موتـة، فهـل تفقـد زوجهـا الثـاني اليوم؟! وماذا ستصنع بالمولود الجديد الذي لم تشأ لـه الأقـدار أن يرى والده؟!.

وحينما تجسدت معالم المصيبة في عينيها زاد نشيجها.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يدخل الدار، ويرى حالة الحزن المخيمة علـى من فيها ويستعلم الـسبب، وعنـدما تخـبره عائـشة عـن الرؤيـا وتعبيرها لها، يقول ليس الأمر كما عبرت ولكن أسماء تلد غلامـاً نسميه محمداً يجعله الله تعالى غيظاً على الكافرين والمنافقين.

وكان أن كتب الرسول الصادق مستقبل محمد قبـل ولادتـه، وطريقة الحياة التي سـوف يـسلكها في آتي أمـره، إلاّ أن الغريـب كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الكـافرين وغلظتـه علـيهم، والحـال أن محمـد ابـن أبي بكـر لم ينقـل عنـه مواقـف كـثيرة في مواجهـة الكافرين، بالمعنى المعروف، بينما كـان لـه العديـد مـن المواقـف الغليظة تجاه مسلمي الهوية كافري الممارسة.

كان محمد ابن أبي بكـر وقـد ولـد متـأخراً، فلـم يـستطع ـ لـذلك ـ المـشاركة في غـزوات الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم وحروبـه، أراد التعويض عن ذلك بالمواقف الشجاعة ضد خطوط الانحراف عن الهـدى المحمـدي والنـهج العلـوي.. فـاحتمى بـأمير المـؤمنين علي عليه السلام خصوصاً بعد وفاة أبيه أبي بكر وكـان عمـره آنئـذٍ لا يتجاوز الخامسة من العمر، وأصبح ربيب الإمام وفي بيته.

لقد صاغ الإمام علي شخصية محمد بأخلاقه وتعاليمه حتى غدا تلميذا ينتهل من نمير علمه، بل ابناً له، فقد أُثر عنه عليه السلام أنه قال: «محمد ابني من صلب أبي بكر»(١). وإذا كان يتخرج من مدرسة الإمام علي عليه السلام أمثال عمار بن ياسر، والمقداد، والأشتر ونظرائهم من أبطال الإسلام، فما ظنك بمن يكون في بيت الإمام عليه السلام لقد كان للإمام ربيباً ولبنيه أخاً وكان يعد له والداً، ويعد للإمام ولداً.

يتقدم العمر بمحمد و يغدو شاباً فيما يتقدم في معرفة مفاهيم الدين ويتخرج من مدرسة الإمام عليه السلام إلى حيث سيواجه الوضع السياسي الاستثنائي الذي خلقه سيطرة بني العاص وأمية على مقاليد أمور المسلمين أيام الخليفة الثالث، لنلتقي مع أول دور سياسي واضح لابن أبي بكر في معارضة هذا الوضع والتأليب عليه.

ولم يكن محمد وحده في هذا الميدان فقد كان فيه كبار الصحابة كابن مسعود وعمار وأبي ذر والزبير وابن عباس، كانت أم المؤمنين عائشة أشد هؤلاء جميعاً.

فهلم عزيزي القارئ، نذهب إلى المدينة حيث تتموج فيها أخبار الخليفة عثمان مع أقاربه ومع صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا بها حديث كل سمر وفئة، فلنستمع إلى متحدث هذه الفئة الساهرة عن خبر ابن مسعود. فقد عزل الخليفة عثمان سعد ابن أبي وقاص عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة الذي نزلت فيه آية

---

(١) نقله في بحار الأنوار ٤٢.

﴿إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، ولا يخفى أن الوليد من أرحام الخليفة من قبل أمه!. فلما جاء الوليد إلى الكوفة، ألقى عبد الله بن مسعود مفاتيح بيت المال إليه واستقال من عمله.. وكان يحتج على ذلك بقوله:

ـ من غيّر غيّر الله ما به ومن بذل أسخط الله عليه وما أرى صاحبكم إلا وقد غير وبدّل أيعزل مثل سعد ابن أبي وقاص ويولي الوليد؟!.

لم يستطع الوالي الجديد أن يتحمل نقد عبد الله بن مسعود، فكتب إلى الخليفة أنه يعيبك ويطعن عليك.. جاء رد الخليفة بإشخاص ابن مسعود إلى المدينة فاجتمع الناس وقالوا له: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه.

لم يكن ابن مسعود يرى إعلان العصيان، فقال: إن له عليّ حق الطاعة ولا أحب أن أكون أول من فتح باب الفتن.

وخرج عبد الله بن مسعود معلم القرآن مخفوراً بأمر الخليفة بينما شيعه أهل الكوفة بكلمات تنم عن تقديرهم لدوره:

ـ جزيت خيراً فلقد علّمت جاهلنا وثبت عالمنا وأقرأتنا القرآن وفقهتنا في الدين فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل..

إلى المدينة وبينما كان الخليفة يخطب على منبر الرسول، وصل ابن مسعود واتجه إلى المسجد، وحيث رآه الخليفة من على المنبر قال: ألا إنه قد قدمت عليكم دويبة[1] سوء من يمشي

(١) تصغير دابة.

على طعامه يقيء ويسلح!!.

كان هذا الكلام- بغض النظر عن ملاءمته لموقع المسجد، والحاضرين ومدى صحته- إعلاناً للحرب على ابن مسعود، الذي ردّ بشكل سلمي قائلاً: لست كذلك ولكني صاحب رسول الله يوم بدر ويوم بيعة الرضوان.

من خلف المسجد كانت عائشة تسمع فقالت: يا عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله؟! فقال لها اسكتي.

وأمر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً، واحتمله يحموم غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدق ضلعه(١).

ما إن انتهى المتحدث من نقل الخبر حتى ماجت تلك الفئة الساهرة.. كيف يقوم الخليفة بهذا الصنع مع معلم القرآن؟!.

وإذا كان هذا حال الخليفة مع ابن مسعود الصحابي الكبير فما الذي يمنعه من ذلك مع غيره؟! قال أحدهم..

ردّ الآخر: دعك من هذا فهل بقي لأحد حرمة؟! هذا حال عبد الله بن مسعود، وذاك حال أبي ذر وتسييره إلى الربذة، ودع عنك حديث عمار بن ياسر وهو جلدة ما بين عين الرسول وأنفه.. هل تعلمون ما صنع الخليفة مع عمار؟! بل ما قاله لعلي بن أبي طالب وهو من لا يجهل قدره..

---

(١) أنساب ا لأشراف، ٥ وأحاديث أم المؤمنين عائشة ١/ ١١٦

ـ قل لنا ما حديث عمار؟! طلب بعض الجالسين منه.

اجتمع الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتبوا كتاباً ذكروا فيه: «ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه، وما كان من هبته خمس إفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين. وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة، داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته، وبنيان مروان القصور بذي خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية من أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمور، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم إن شئتم أن أزيدكم ركعة زدتكم، وتعطيله إقامة الحد عليه وتأخيره ذلك عنه، وتركه الأنصار والمهاجرين لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة، وما كان من إدراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم لا يغزون ولا يذبون، وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، وأنه أول من ضرب بالسياط على ظهور الناس وإنما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران.

ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة، فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمار

جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده فمضى حتى جاء إلى دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات، فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بني أمية فدفع إليه الكتاب فقرأه. فقال:

ـ أنت كتبت هذا الكتاب؟! قال عمار: نعم.

قال عثمان: ومن كان معك؟

ـ معي نفر تفرقوا فرقاً (خوفاً) منك.

ـ ومن هم؟

ـ لا أخبرك بهم.

ـ فلم اجترأت عليّ من بينهم؟!.

كان ينبغي أن يستقبل الخليفة هذه المطالب الإصلاحية وينظر فيها قبل أن تتحول إلى مادة لإثارة السخط.. إلاّ أن الخليفة عدّ ذلك ذنباً وتجرياً عليه، ولم يفوت مروان الفرصة فقال: يا أمير المؤمنين: إن هذا العبد الأسود (يعني عماراً) قد جرأ عليك الناس وإنك إن قتلته نكلت به من ورائه..

فقال عثمان: اضربوه.

فضربوه.. وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار. فأمرت به أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأدخل منزلها.

ثم خرج عثمان إلى المسجد فإذا هو بعليٍّ وهو شاكٍ

معصوب الرأس فقال عثمان له:

ـ والله يا أبا الحسن ما أدري أشتهي موتك أم حياتك فو الله لئن متَّ ما أحب أن أبقى بعدك لغيرك لأني لا أجد منك خلفاً، ولئن بقيت لا أعدم طاغياً يتخذك سلماً وعضداً ويعدك كهفاً وملجأ...

فأجابه علي: إن فيما تكلمت به لجواباً ولكني عن جوابك مشغول بوجعي فأنا أقول كما قال العبد الصالح: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1].

تحول الهمس والكلام في السهرات والتجمعات المحدودة إلى الاعتراض المباشر والعلني، وبدأت المعارضة تنتقل من المدينة إلى سائر البلاد الإسلامية، لتتفاعل مع الأسباب المحلية للثورة ولتتعاظم أكثر. وذهبت الرسل هنا وهناك.

وكان في الطليعة محمد ابن أبي بكر، فقد راعه أن تتحول مراكز رماح المسلمين، وفيئهم إلى ملك شخصي، وعقارات خاصة لبني أمية وأتباعهم، بينما يهان أصحاب الرسول إلى حد الضرب والإصابة بالفتق ورض الأضلاع.

وبينما يطرد أبو ذر الغفاري أصدق الناس لهجة ويغرب عن مدينة الرسول إلى صحراء الربذة. يعود عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي أهدر الرسول دمه، معززاً مكرماً، ويعطى مصر هدية!!.

---

(١) الإمامة والسياسة/ ٣٣.

لذلك ذهب مع محمد ابن أبي بكر إلى مصر بعد ذهاب عبد الله بن سعد ابن أبي سرح وتكلما بين الناس طاعنين على الخليفة قائلين: استعمل عثمان رجلاً أباح رسول الله دمه يوم الفتح ونزل القرآن بكفره حين قال: سأنزل ـ مثلما أنزل الله.

❁❁❁❁

تطورت الأحداث أسرع مما كان يظن الجميع، فالخليفة لم يلتزم بما عاهد عليه أولاً من الالتزام في مجلس الشورى «بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين» ولا ثانياً عندما أعطى للمعارضة عهداً بالإصلاح والتغيير.

لذلك التقى أهل الأمصار الثلاثة: الكوفة ـ والبصرة ـ ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما أعطى من نفسه وقالوا لا يسعنا الرضى بهذا. واجتمع رأي رؤسائهم على أن يكونوا رسل من شهد الموسم إلى من كان على مثل رأيهم، وأن يوافوا عثمان في العام القادم فيستعتبوه فإن أعتب و إلاّ رأوا رأيهم فيه.

كان ذلك في سنة ٣٥ هـ عندما جاءت الوفود محاصرة قصر الخليفة، قائلين: إنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة أو ضلالة مجلّحة مبلّجة. وكتب إليهم الخليفة ـ بعد طلبه من الإمام علي أن يضمنه أمام الثوار ـ كتاباً جاء فيه:

هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين إن لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه، يعطي المحروم ويؤمن الخائف ويرد المنفي ولا تجمر البعوث

ويوفر الفيء، وعلي بن أبي طالب ضمين المؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء في هذا الكتاب.

وكادت الأمور تسير في اتجاه الهدنة والتفاهم إلاّ أن مروان بن الحكم الذي كان أول المتضررين من خطوات الإصلاح لم يرقه سير الأمور بذلك الشكل، فدخل على الخليفة وقال له: بأبي أنت وأمي والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممنع منيع فكنت أول من رضي بها وأعان عليها لكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبيين وخلف السيل الزبى وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها وإنك إن شئت تقربت بالتوبة ولم تقر بالخطيئة وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس!!

فقال عثمان: فاخرج إلى الناس فكلمهم فإني أستحي أن أكلمهم.

وهكذا سدد مروان السهم القاتل لفكرة التغيير والاستجابة للإصلاح في نفس عثمان وبقي عليه أن يكمل المهمة. فخرج إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً فأشار إليهم قائلاً:

ـ ما شأنكم قد اجتمعتم.؟ كأنكم جئتم لنهب، شاهت الوجوه، كل إنسان آخذ بأذن صاحبه، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا، اخرجوا عنا، أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم، ارجعوا إلى

منازلكم فإنا والله غير مغلوبين على ما في أيدينا[١].

كان بعض الوفود قد عاد في طريقه إلى بلده، ومحمد ابن أبي بكر في وفد المصريين الذين أشاروا على الخليفة بتوليته على مصر، عادوا يحدثون أنفسهم بأماني الإصلاح، وبمستقبل العدل..

من بعيد لاح لهم ومن خلال الغبار المثار رجل على بعير، يخبطه خبطاً كأنه رجل يطلب أو يُطلب، فشك فيه أصحاب محمد ابن أبي بكر، فأحضروه:

ـ من أنت؟!

فتلجلج ـ مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين وأخرى أنا غلام مروان.

ـ معك كتاب؟! قال: لا.

ففتشوه وأخرجوا من عنده كتاباً من عثمان إلى عبد الله ابن أبي سرح. وجمع محمد ابن أبي بكر من كان معه من المهاجرين والأنصار ثم فتح الكتاب فإذا فيه:

إذا أتاك محمد ابن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمد وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء إليّ متظلماً منك إن شاء الله.

وسواء كان ذلك كتاب عثمان أو باسمه كتبه مروان، فالأولى عدها هؤلاء خيانة، والثانية عجزا وعدم صلاحية، فلووا زمام

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣/ ١٦٥

رواحلهم عائدين للمدينة، حيث سيشهدون وسيشاركون في قتل الخليفة.

❀❀❀❀

ما كاد الإمام علي عليه السلام يستلم زمام الأمور بعد قتل عثمان، وإقبال الناس عليه، للبيعة، حتى نكثت طائفة (الجمل).

وربما كان الموقف دقيقاً وحرجاً، لو لم يكن في الطرف الآخر محمد، ذلك أن على رأس الجيش البصري كانت أخت محمد عائشة بنت أبي بكر زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أن محمداً الذي لا يعرف له والداً غير الإمام ولا نسباً غير خطه، كان أشد من غيره في المعركة.

وإذا كانت الفتنة تحتاج إلى من يلقحها، فقد كان عبد الله بن الزبير ملقح فتنة الجمل، إذ يقول ابن عباس: أتيت الزبير فوجدته في بيت يتروح في يوم حار وعبد الله ابنه عنده، فقال: مرحباً بك يا أبا لبابة.. أجئت زائراً أم سفيراً؟! قلت: كلا، إن ابن خالك (أمير المؤمنين) يقرأ عليك السلام ويقول لك، يا أبا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة؟! فقال:

علقتهم إني خلقت عصبة قتادة تعلقت بنشبة

لن أدعهم حتى أولف بينهم

. قال: فأردت منه جواباً غير ذلك.

فقال لي ابنه عبد الله: قل له بيننا وبينك دم خليفة ووصية خليفة واجتماع اثنين وانفراد واحد وأم مبرورة ومشاورة

العشيرة.. فعلمت أنه ليس وراء ذلك إلاّ الحرب[1].

وتقابل الجيشان: علي أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه البدريين والأحديين، وذوي البصائر، في جانب وعائشة حليلة الرسول التي أمرت بأن تقرّ في بيتها في جانب و الغوغاء من بني ظبة وأشباههم ممن كانوا يأخذون بعر الجمل فيفتّونه ويضعونه على آنافهم وعيونهم قائلين: بعر جمل أمّنا له ريح المسك!!.

لقد كان الجمل صنم أصحابه ورمز ثباتهم لذلك فإن أربعة آلاف مقاتل كانوا يحيطون به على شكل حلقات وأكثر من قتل كان حوله.. ولذلك ما إن طعن حتى انتهت المعركة.

وجاء محمد ابن أبي بكر وعمار يقطعان الانساغ والبطان عن الجمل واحتملا الهودج الذي كانت فيه عائشة، ثم اطلع إليها أخوها محمد، فقالت: من أنت؟!.

قال: أبغض أهلك إليك. قالت: ابن الخثعمية؟ (تعني أسماء بنت عميس). فال: نعم ولم تكن دون أمهاتك.

قالت: لعمري بل هي شريفة دع عنك هذا الحمد لله الذي سلمك.

قال: قد كان ذلك ما تكرهين.. قالت: لو كرهته ما قلت ما قلت.

قال: كنت تحبين الظفر وأني قتلت.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ١٦٩

وجاء علي أمير المؤمنين عليه السلام فقرع الهودج وقال:ـ بهذا وصّاك رسول الله؟![1].

❋❋❋❋

انتهت معركة الجمل.. وعاد أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة، وأرسل ولاته إلى بلاد الإسلام المختلفة لتنعم بعدلهم، بعد أن ذاقت الأمرين من ظلم السابقين..

ومصر.. البلد الذي يتحلب لاسمه فم ابن العاص، والذي باع دينه لمعاوية من أجل الحصول على أطعمتها. بلد الخيرات، كان في رأس قائمة الاهتمام.

أرسل الإمام عليه السلام محمد ابن أبي بكر ليحل محل قيس بن سعد بن عبادة على ولاية مصر. وكان فيها بعض الجيوب المتمردة التي رفعت ـ كغيرهاـ قميص الطلب بدم عثمان ورأسهم في ذلك الأمر معاوية بن خديج السكوني...

حاول معاوية ابن أبي سفيان استمالة محمد ابن أبي بكر عن طريق الكتب إلى جانبه، ولكن محمداً الذي كان قد أوتي بصيرة كاملة، ردّ عليه في مكاتبات عديدة بما يقطع أمله منه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد ابن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر. سلام على أهل طاعة الله ممن هو مسلم لأهل ولاية الله، أما بعد: فإن

---

(١) النصرة في حرب البصرة للمفيد/ ١٩٧.

الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عنت ولا ضعف في قوته ولا حاجة به إلى خلقهم ولكنه جعلهم عبيداً وجعل منهم شقياً وسعيدا وغوياً ورشيداً ثم اختارهم على علمه فاصطفى وانتخب منهم محمداً فاختصه برسالته واختاره لوحيه وائتمن على أمره وبعثه رسولاً مصدقاً لما بين يديه من الكتب ودليلاً على الشرائع فدعا إلى سبيل ربّنا بالحكمة والموعظة الحسنة فكان أول من أجاب وأناب وصدق ووافق وأسلم وسلّم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب فصدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل صميم فوقاه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف فحارب حربه وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلاً نفسه في ساعات الأزل (الضيق) ومقامات الروع حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده ولا مقارب له في فعله وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو المبرز السابق في كل خير أول الناس إسلاماً وأصدق الناس نية وأطيب الناس ذريّة وأفضل الناس زوجة وخير الناس ابن عم. وأنت اللعين ابن اللعين.

ثم لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله وتجهدان على إطفاء نور الله وتجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتحالفان فيه القبائل، على ذلك مات أبوك وعلى ذلك خلفته والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله، والشاهد لعلي مع فضله المبين وسبقه القديم، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن فأثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار فهم معه عصائب وكتائب حوله يجالدون بأسيافهم ويهريقون دماءهم دونه يرون الفضل في اتباعه والشقاء في خلافه فكيف ـ يالك الويل ـ تعدل

نفسك بعلي وهو وارث رسول الله ووصيه وأبو ولده وأول الناس إتباعاً وآخرهم به عهداً يخبره بسره ويشركه في أمره وأنت عدوه وابن عدوه؟! فتمتع ما استطعت بباطلك وليمدد لك ابن العاص في غوايتك فكأن أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى وسوف يستبين لمن تكون العاقبة العليا واعلم أنك إنما تكايد ربك الذي قد أمنت كيده وآيست من روحه وهو لك بالمرصاد وأنت منه في غرور وبالله وأهل رسوله عنك الغناء والسلام على من اتبع الهدى[1].

فيما رأى معاوية أن بقاء محمد ابن أبي بكر ـ وهو الصلب القوي في ولائه لعلي عليه السلام والياً على مصر، قد يهدد حتى موقعه في الشام، فكر في احتلال مصر. ودعا من أصحابه عمرو بن العاص وبسر ابن أبي أرطأة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد والضحاك بن قيس:

ـ أتدرون لم جمعتكم؟! فإني جمعتكم لأمر مهم لي. فقال عمرو بن العاص.

ـ دعوتنا لتسألنا عن رأينا في مصر، فإن كنت جمعتنا لذلك فاعزم واصبر فنعم الرأي رأيت في افتتاحها فإن فيه عزّك وعزّ أصحابك وكبت عدوك وذل أهل الشقاق عليك.

ولم يفت معاوية بريق عيني ابن العاص، وهي تنتشي بالرغبة من ولاية مصر فقال له:

---

(١) الغدير ١٥/١٥٩.

ـ أهمك ما أهمك! (وذلك أن عمراً كـان قـد صـالح معاويـة على قتال علي عليه السلام على أن له مصر طعمـة مـا بقـي).. وبـدأ التخطيط... ابن العاص الذي كان متعجلاً ابتلاع هـذه الطعمـة التي باع لأجلها دينه قـال: أرى أن تبعـث جيـشاً كثيفـاً علـيهم رجل حازم صابر صارم تأمنه وتثق به فيأتي مصر فإنه سيأتيه مـن كان على مثل رأينا فيظاهره على عدونا فإن اجتمع جندك ومـن بها على رأينا رجوت أن ينصرك الله!!.

أما معاوية فقال: أرى أن نكاتب من بها من شيعتنا فنمنـيهم ونأمرهم بالثبات ونكاتب من بها من عدونا فندعوهم إلى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوّفهم حربنا فإن كان من أردنا بغير قتال فذاك الذي أردنا وإلاّ كان حربهم بعد ذلك.

وكتب معاوية إلى محمد مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حـديج السكوني، يحثهما على الطلب بـدم عثمـان.. ودائمـاً دم عثمـان وقميص عثمان، فابن العاص الذي كان يقول: إني كنت لأؤلـب الراعي في غنمه على عثمان، هو القائل أنا أبو عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع. دخل إلى الشام وهو يبكي كما تبكي المـرأة وهـو يقول: واعثماناه! أنعي الحياء والدين!! في يوم آخر.. وهكذا بيـع الدين والإسلام بأبخس الأثمان..

ولم يكن أولئك أقـل في تجـارة الـدين مـن صـاحبيها، فـردا الجواب بضرورة التعجيل. وجمعا أوباشهما ممن لا يفرقـون بـين الناقة والجمـل، ولا يعرفـون مـن ولا لمـاذا يقـاتلون!! وجـاءهم عمرو بن العاص على ستة آلاف من الشام.

والتحم الجيشانـ كنانة بـن بـشر علـى ألفـين مـن مقاتلـة

المصريين ومعه محمد ابن أبي بكر على ألفين آخرين، وفي المقابل ستة آلاف من أهل الشام، وردفهم معاوية بن حديج في مثل الدهم.

وأبدى كنانة بن بشر من البطولة الشيء الكثير فقد كان يرد الكتائب حتى يلحقها بمواضعها الأولى.. لكن عادة ما كانت الكثرة تغلب الشجاعة. فأحاطت به كتائب ابن حديج، ونزل كنانة عن فرسه فقاتلهم راجلاً حتى استشهد رضي الله عنه ..

وبان الانكسار في جيش ابن أبي بكر، وبدأ من همه الدنيا بالتفرق عنه وأصابته جروح كثيرة، وأسر، وقد كاد يموت عطشاً. فقال لهم: اسقوني ماء!!.

معاوية بن حديج الذي كان لا يزال في دكان المتاجرة يقتل عثمان قال له: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً، إنكم منعتم عثمان شرب الماء! والله لأقتلنك حتى يسقيك الله من الحميم والغساق!.

أجابه محمد: يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك إليك إنما ذلك إلى الله يسقي أولياءه ويظمئ أعداءه أنت وأمثالك! أما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم مني هذا[1].

لماذا كان خط أهل البيت عليهم السلام يجسد التزامه بقيم الإسلام حتى تصبح سيرة قادته سنّة، ومواقفهم مبادئ، وإذا بهم الإسلام الناطق المجسد، وجدنا سيرة أعدائهم مترعة بالحقد، حافلة

(١) الكامل لابن الأثير ٣/ ٣٥٧.

بالطرق الجاهلية، إذ لم يمس الإسلام منهم إلاّ القشر الظاهري، ولسان حالهم: ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا.. قاتلتكم لأتأمر عليكم.

ـ أتدري ما أصنع بك؟! قال معاوية بن حديج لربيب أمير المؤمنين محمد. أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار.

تبسم محمد ورأى أي عقل صغير يحمل هذا الرجل وأي حقد كبير و قال:

ـ إن فعلت بي ذلك فلطالما فعلتم ذلك بأولياء الله وإني لأرجو أن يجعلها عليك وعلى أوليائك ومعاوية وعمرو ناراً تلظى كلما خبت زادها الله سعيراً..

ودخن حقد القلب الجاهل، بينما كانت وردة محمدية تذوي في عزّ الشباب بلهيب النار المشتعلة.

وكما أقام عمرو بن العاص حفلاً ضخماً لوصوله إلى طعمته بقتل محمد ابن أبي بكر فقد كان «حزننا عليه على قدر سرورهم بقتله لا بل يزيد أضعافاً» كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

خالد بن سعيد بن العاص الأموي

شهيداً في مرج الصفر سنة ١٣ هـ

❀❀❀❀

من الشوك خرج العنب هذه المرة.

ومن سواد الليل البهيم ولد النور والمعرفة، وهكذا في أرض سبخة أموية تفتحت وردة حمراء محمدية.

نعم من صلب سعيد بن العاص الأموي أعدى أعداء الرسالة وفي بيته تربى خالد الذي قدر له أن يصبح من أفضل أصحاب الرسول وأنصار أمير المؤمنين. فلنَر كيف يخرج من الشوك العنب؟.

اهتزت مجالس قريش بقدر ما اهتزت كبرياؤها، فلا نجد حديثاً غير حديث (محمد) ودينه، هذا الدين العجيب في كل شيء، العجيب في جرأته على رفض ثقافة قريش، وكنس تاريخها، وفي عدم قبوله للحلول الوسط، وعدم مراعاته للتقاليد السائدة.

وأعجب من كل ذلك اكتساحه لكل دفاعات قريش، إنه كالسيل لا يوقف انتشاره وتقدمه تعذيب أو محاصرة، لقد أخذ قلوب الفقراء، والضعفاء، وأيضاً بيوت الكبراء والأثرياء.

إنه بيت سعيد بن العاص، من بني أمية الأسرة التي حازت سبق العداء للرسالة وواصلت المسيرة بعدئذ!.. والطارق يطرق الباب ليخبر سعيداً أن ابنه خالداً قد (صبأ) إلى دين محمد..

ودارت الدنيا بأبي أحيحة، والد سعيد، فقد كان يتوقع كل شيء غير هذه الفاجعة، وغلت دماء الغضب في شرايينه:ـ

ـ اذهبوا وأحضروه لي سريعاً، لأرى ما أصنع به..

قال لبعض أولاده وخدمه.. وانطلق هؤلاء، بينما بقي أبوهم يصر على أسنانه مستعداً للقاء الولد المتمرد، الذي سوف يهدم شرف أبيه في مجالس قريش،. فماذا سيقول بعد اليوم لزعمائها أصحابه، وهو صاحب آراء التصعيد والتعذيب؟! كيف يرفع رأسه لحماية مجتمع قريش من الدعوة الجديدة وقد عجز عن حفظ بيته؟!.

جيء بخالد يسحب، وقد كان يتوقع ما سيحصل من ضرب وإيذاء.. لا يهّم إن له بمن سواه من المسلمين أسوة حسنة.. ثم ماذا يضر المرء بعد أن يجد نفسه؟! أنه لا يزال يعيش تفسير الرؤيا الصادقة التي رآها قبل أيام.. أنه يرى بعين قلبه تلك النار العظيمة المحيطة بأهل مكة، ويرى أباه يدفعه بكل قوته في أتون لهبها، وتمتد اليدان المباركتان للصادق المبارك رسول الله فتأخذه من حقويه بعيداً عن النار.. وينطلق على أثر وعيه السابق ومعرفته بالرسول الكريم، ورؤياه اللاحقة قاصداً رسول الله سائلاً عن دعوته.. فيعلمه الرسول ﷺ: «أن تؤمن بالله وحده لا تشرك به شيئاً، وتؤمن بمحمد ﷺ عبده ورسوله وتخلع عبادة الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع...».

وبسط خالد يده مبايعاً رسول الله ﷺ ووجد نفسه.. فماذا يضره أن يدفعه أبوه إلى النار بعد أن اعتصم بالعروة الوثقى.

أفاق من عالم أفكاره على صوت أبيه مهدداً ومتوعداً:

ـ أصبوت إلى محمد؟ وهو يعيب آلهتنا؟!.

ـ إنه لصادق والله، ولقد آمنت به واتبعته.. أجاب خالد في ثقة وإيمان.

لقد كان تجرع الحنظل أهون على أبيه من سماع هذه الكلمات، وغاضت الرحمة ومشاعر الأبوة من قلبه، وقام إليه وفي يده مقرعة، ولم يتركها حتى تكسرت على رأسه.

ولم يستطع سعيد أن يعيد ابنه إلى نار الجاهلية، ولم يستسلم بهذه السرعة، بل كان يحتاج إلى إثبات بغضه للدين الجديد أمام زعماء قريش بزيادة تعذيب ابنه، سجنه في دار وحرمه من الماء والطعام ثلاثة أيام، لعله يعود، ولم يزده ذلك إلا يقيناً، فطرده أبوه من المنزل:

ـ اذهب يا لكع حيثما شئت، واللات لأمنعنك القوت!!.

افترت ابتسامة انتصار على محيا خالد، بعد أن شهد هزيمة إيمانه لكفر والده، وقال بمنطق المتوكل:

ـ إن منعتني فإن الله تعالى يرزقني ما أعيش به. وهكذا التحق بالرسول والتصق به، بعد أن أسلم سادس ستة أوائل.

وبينما كان يرتقي في سلم الإيمان كل يوم درجة جديدة، كان أبوه يخرج من ظلمة جاهلية ليدخل أخرى أشد منها، حتى

مرض مرضه الأخير، وقد دخل عليه أبو جهل وأبو سفيان عائدين، فرأياه يبكي لخوفه أن تنتهي عبادة اللات والعزى ويعلو دين محمد، وأقسم لئن رفع من مرضه ذلك «لا يعبد إله ابن أبي كبشة في مكة أبدا» !!.

بعد أن اشتد أذى قريش للمؤمنين، أمر الرسول بالهجرة إلى الحبشة وكان خالد مع المهاجرين بعد أن أقر الله عينه بإسلام أربعة من اخوته.

وفي السنة السابعة للهجرة، وبعد فتح خيبر عاد خالد بن سعيد ومعه المسلمون من الحبشة، وتقر أعينهم بانتصار المسلمين على أعدائهم من مشركين ويهود، ويساهمون ـ بكل حماس ـ في الدفاع عن الدين وبناء دولته والدعوة الجديدة تتقدم من فتح إلى آخر ومن نصر إلى مثيله. وخالد بن سعيد هذا النموذج الرسالي لتطبيق الآية ﴿لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ يتألق في كل مشهد وعياً وإخلاصاً وتضحية، لقد أصبح كاتباً للرسول، وكان مفاوضاً! مع أهل ثقيف عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد كان خالد يعرف بدقة كيف تتوزع الولاءات في هذا المجتمع ويعرف جيداً من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، من جعل حياته درعاً حافظاً للدين، ومن جعل الإسلام دكان تجارة! وكان يرى أن إشارات وتصريحات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق علي بن أبي طالب لم تكن على سبيل المجاملة، أو اللغو، بل كان النبي يحاول وضع الضمانات لمستقبل مسيرة ا لإسلام.

وغادر خالد المدينة مبعوثاً من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، والياً على صدقاتها، وذلك لما يتمتع به من أمانة كافية، غادرها

ولولا أمر الرسول لم يكن يفعل، فمن ذا الذي يطلب جواراً وصحبة غير صحبة الرسول والاستماع إلى هديه؟! غادرها ويده على قلبه لأنه يشم رائحة غير زكية تتمثل في رغبة البعض عدم الخضوع لأوامر الرسول..

ما إن جاء النبأ بنعي رسول الله حتى بدأ إحساس خالد باليتم.. لم يشعر بهذا حين طرده أبوه من بيته ومنع أخوته من الحديث معه، ولكنه يشعر بطعم المرارة في حلقه منذ سماع النبأ المفجع، وشد الرحال عائداً إلى المدينة، وكان يتوقع أن يرى منبر النبي قد ملأه الوصي، فلما رأى الخليفة أبا بكر على منبر رسول الله استبد به الغضب، وذهب يسأل من خلص أصحاب النبي ﷺ عن حقيقة ما جرى، من أبي ذر، وعمار، والمقداد، وسلمان ونظرائهم، ويحملهم مسؤولية التصحيح، ونشر العلم، إذ أخذ الله الميثاق على العلماء أن يبينوا للناس ولا يكتموه.. وهكذا اجتمع هؤلاء الأصحاب، وصمموا على معارضة الخليفة حين يصعد المنبر، رائدهم في ذلك خالد بن سعيد الذي أبى أن يبايع.

وفي يوم الجمعة، والخليفة أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ، وإذا بخالد بن سعيد قد قام من بين الجموع وقال: ـ اتق الله يا أبا بكر فقد علمت أن رسول الله، ﷺ قال ـ ونحن محتوشوه ـ: يا معاشر المهاجرين والأنصار، إني موصيكم بوصية فاحفظوها وإني مؤد إليكم أمراً فاقبلوه، ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي، ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتؤازروه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم

واضطرب عليكم أمر دينكم ووليكم شراركم، ألا إن أهل بيتي هم الوارثون لأمري والقائمون بأمر أمتي من بعدي، اللهم من أطاعهم من أمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي واجعل لهم نصيباً من مرافقتي يدركون به نور الآخرة اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض[1].

وكان خالد يعلم أنه ـ بهذا الموقف ـ يتعرض دون شك لغضب الخلافة ولغضب عمر بن الخطاب بالتحديد، إلا أنه أقدم على ذلك، فهو إضافة إلى اعتقاده بأحقية كلامه، لا يرى لأبي بكر ولا عمر فضلاً على نفسه فقد سبق إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، وكان والي صدقات الرسول، ومواقفه في الحروب مشهورة، غير أنه أثر عدم التصعيد تبعاً لمنهج أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يرى أن يصبر «وفي العين قذى وفي الحلق شجى» حفظاً للإسلام.. لذلك قال له الإمام: اجلس يا خالد فقد عرف الله لك مقامك وشكر لك سعيك.. [2].

استمرت جيوش المسلمين تتابع تحريرها لجموع الناس من أغلال الجبت وقيود الطاغوت، متجهة شرقاً وغرباً، حاملة معها نور الإسلام، ومبادئ الحرية ولم يكن خالد بالذي ينكفئ سلباً على نفسه، فهو وان لم يرض بالخليفة إلا أن ذلك لم يكن ليمنعه عن نصر الشريعة، ونشر العقيدة، خصوصاً أن أصحابه

---

(١) رجال السيد بحر العلوم ٢/ ٣٣٢
(٢) المصدر

الآخرين كعمار والمقداد وسلمان، وحذيفة كانوا يشاركون ـ ما استطاعوا ـ في الحياة العامة من موقع التأثير، ولم يكن قرار أمير المؤمنين إعلان الحرب والمقاطعة.

هذا إضافة إلى أن خالداً لم يكن نكرة، بل كان قد حاز من الإسلام السبق، ومن صحبة الرسول الوعي، ومن عمله في اليمن الخبرة الإدارية، ومن خوضه المعارك الشجاعة والمعرفة العسكرية.

لذلك لما أراد الخليفة أبو بكر أن يجهز جيشاً لغزو الشام، لم يجد أفضل من خالد بن سعيد بن العاص، بالرغم من موقف خالد منه، إلا أن مميزات خالد تجعل بالإمكان التنازل على هذه الملاحظة، وبالفعل فقد عهد إليه بقيادة الجيش، وأعطاه اللواء بيده.

إلا أن عمر بن الخطاب، وكان قد اصطدم معه في حادثة المسجد الآنفة الذكر، إضافة إلى أمور أخرى، عارض أبا بكر بشدة في تعيينه لخالد على إمارة الجيش.. قائلاً:

ـ أتولي خالداً وهو القائل ما قال؟!.

فلم يزل عمر بأبي بكر حتى أرسل أبا أروى الدوسي إلى خالد قائلاً: ـ إن خليفة رسول الله يقول اردد إلينا لواءنا!!.

فأخرجه فدفعه إليه، وقال: والله ما سرتنا ولايتكم ولا ساءنا عزلكم وأن المليم لغيرك..

قالت (أم خالد ابنة خالد) فما شعرت إلا بأبي بكر دخل

على أبي يعتذر إليه ويعزم عليه أن لا يذكر عمر بحرف!![1].

وهكذا كانت ضريبة انتمائه لخط الإمامة، وقوله كلمة الحق أن عزله عمر من قيادة الجيش بعد أن عينه أبو بكر!!.

ولم يكن ذلك مهماً عنده، فما سرته ولاية أمر الجيش، لأن الولاية إذا كانت عند غيره تعني المجد السياسي، والغنى الشخصي، لذلك تنسج المؤامرات، وتبذل الوساطات للوصول إلى موقع قيادة الجيش، فهي لديه لم تكن تعني من ذلك شيئاً، إنما تعني أن يضع روحه على راحته ويلقي بنفسه في حيث مشتبك المكارة و النبال.

وما ساءه العزل، لأنه لم تسره الولاية، فالعزل يسقط من لا اعتبار له، أما ذوو الاعتبار الذاتي، وأصحاب الملكات والكفاءات العالية، فإن العزل ليس فقط لا يسقطهم، بل يعيب من يقوم به في حقهم، إذ يتم التساؤل، ماداموا يملكون هذه القدرات فلماذا يعزلون؟.

كان غيره يبحث عن ربح استثماراته في دكان الإسلام، وكان خالد وأمثاله يبحثون عن دور يؤدونه في سبيل الله، ويتعجلون بالشهادة لقاء الله..

وسار خالد جندياً في ركاب الجيش الذاهب لفتح الشام، ولم يكن ليغير شيئاً لو كان هو القائد، بل هو بما يملك من خبرة، وبما يفرضه على غيره من احترام أصبح قائد القادة الجدد، ومحط

(١) الطبقات الكبرى ٤/ ٩٧.

مشورتهم.

وكان لا بد لهذا الفارس أن يترجل، فقد مل حصان حياته التطواف، ولكن بعد أن يجد ما كان يبحث عنه.. في الخمسين من عمره، وقد خلف وراءه من الذكر العاطر والمواقف الشجاعة ما يصلح للتأسي.

في واقعة (مرج الصفر) حيث تلتحم جيوش الروم مع المسلمين يبحث النصر عن رجال مثل خالد، لا يبحثون عن النصر بل الشهادة. وعجيب أن النصر يبحث عنهم وهم لا يبحثون عنه، ويتفق ذلك، وينتصر دين الله..

يبرز إلى المعركة، وبعد أن يقتل من الروم عدداً يسقط قتيلاً بينما ترفرف روحه، في حركتها نحو لقاء الله سبحانه وتعالى..

هنيئاً له السبق والولاية.. والشجاعة الواعية.

وهنيئاً له الشهادة الدامية.

نساء حول الإمام علي عليه السلام

كلمات كالمقدمة

من المشاكل التي يعيشها الكثير من المسلمين، تضخم عقلية (سد الذرائع) وسيطرتها على الفكر والاجتماع الإسلامي. وتحولها إلى قيد مانع يحجز عن الإبداع، والتطوير في مختلف المجالات، فإذا أريد القيام بعمل معين، برزت مجموعة من الآثار السلبية الجانبية بشكل طبيعي، حيث يترافق كثير من المشاريع مع آثار سلبية محتملة. وحيث أن العقلية السائدة هي عقلية (دفع المفسدة أولى من جلب المصلحة)[1]، وأنه لا بد من سد الذرائع والأبواب التي قد يتسرب من خلالها الفساد.. تتم مصادرة تلك المشاريع، والقضاء عليها بهذه المبررات.

ولقد وجدنا في بعض البلدان الإسلامية أنه كان يتم منع النساء من التعلم، بزعم أنه يفتح عليهن أبوابا من الفساد، فلا بد إذن من إبقائهن بدون تعلم ومعرفة.

---

(١)وقد يناقش في تلك القاعدة بأن المنافع والمفاسد تختلف بحسب القلة والكثرة، فرب نفع يكون جلبه أولى من دفع المفسدة، وعلى فرض التساوى من حيث القلة والكثرة لم يقم برهان على أن دفع المفسدة أولى من جلب المنفعة، ولم يظهر من طريقة العقلاء أن بنائهم على ذلك. راجع فوائد الأصول ـ تقريرات الشيخ النائيني للشيخ محمد علي الكاظمي ج ٣ ص ٤٥١.

ووصل الحال والمبالغة فيه إلى حد يتصور معه أن الدين أصبح قيدا للمعاصم، وقفلا للعقول، بينما الدين هو الذي يفتح آفاق الإنسان المؤمن به ويضع عنه الإصر المفروض عليه، لكي ينفتح على الحياة ويسير في آفاقها، ويتعرف على ما أودعه الله سبحانه وتعالى فيها من أسرار، لو استكشفها عاش حياته بسعادة، واستثمرها لصالح آخرته.

وانعكس هذا على رؤية بعض العلماء للعقيدة[١]، وللشريعة، وللتاريخ، فكما ذكرنا تحول (سد الذرائع)[٢] الذي لو

(١)شتان بين ما ذكره المنهاجي الاسيوطي في كتابه جواهر العقود في وصفه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: وصلى الله على محمد المنعوت بالتبجيل والتعظيم الموصوف بالتشريف والتكريم الذي سد الذرائع!! وبين ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من وصفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق (وفي بعض النصوص والفاتح لما استقبل)

(٢)الذريعة هي الوسيلة المفضية إلى أحد الأحكام الخمسة، وتأخذ تلك الوسيلة ـ كما ذكره أصوليو الجمهور ـ حكم ما يتوصل بها إليه، وجعلوا هذه قاعدة مهمة، وفرعوا عليها كما ذكر الشهيد الأول في القواعد والفوائد فروعا ربما وصلت إلى الألف!! بينما هي كما ذكر السيد محمد تقي الحكيم في الأصول العامة للفقه المقارن ـ مع غض النظر عن صلاحية ما استدلوا به من الأدلة عليها ـ لا تعدو كونها من صغريات السنة أو العقل.. قال السيد الحكيم: لان اكتشاف حكم المقدمة أما أن يستفاد من العقل بقاعدة الملازمة، بمعنى إن العقل يحكم بوجود ملازمة بين الحكم على شيْ والحكم على مقدمته، فإذا علمنا إن الشارع قد حكم على ذي المقدمة بالوجوب

ثبت فهو استثناء، تحول إلى قاعدة مضطردة في كل مكان.. وأصبحت كما ذكرنا فكرة معيقة للكثير من محاولات التطوير والنهوض في المجتمع الإسلامي.

وإذا كان هذا الأمر قد يتعقل في الوسط الفقهي والفكري (السني) باعتبار أنهم يعتبرون سد الذرائع قاعدة برأسها وأصلا مستقلا، فإنه لا يمكن أن يتعقل في الوسط الفقهي والفكري (الشيعي) الذي لا يعطي لتلك الفكرة، ذلك الاعتبار والأهمية، ولكننا مع ذلك نجد آثار (سد الذرائع) موجودة بقوة في الوضع الاجتماعي الشيعي، وقد يكون هذا راجعا إلى ضغط الحالة التقليدية الاجتماعية على المفكرين، بل على العلماء[1]!!

فقد علمنا بحكمه على المقدمة كذلك، وعندها تكون من صغريات حكم العقل وليست أصلا برأسه، وأما أن يستفاد من طريق الملازمة اللفظية أي من الدلالة الالتزامية لأدلة الأحكام، كما هو مبنى فريق بدعوى أن اللفظ الدال على وجوب الصلاة هو بنفسه يدل على لازمه وهو وجوب مقدماتها، وعليها يكون وجوب المقدمات مدلولا للسنة، فتكون المسألة من صغريات دليل السنة، وقد عرفت إن الأدلة السمعية التي ساقها ابن القيم على كونها أصلا لا تعدو أن تكون إرشادية لحكم العقل بالملازمة. فقول مالك واحمد وابن تيمية وابن القيم: إنها من أصول الأحكام في مقابل بقية الأصول، لا يتضح له وجه.

(١)يتحدث عدد من المفكرين كالشهيد مطهري وغيره عما سموه بـ (سلطة العوام) على المؤسسات الدينية، ونحن وإن كنا لا نوافق ذلك الطرح بعرضه العريض، لكنه لا شك في وجود محاولات كثيرة من العوام لإلجاء العلماء أن يتخذوا مواقف فقهية تنسجم مع التقاليد

وتتعرض المرأة في قضاياها المختلفة إلى عقلية (سد الذرائع) بنحو كبير، ففي تعليمها أول ما يتبادر إلى الذهن أن لا تستفيد من هذا العلم في الانحراف والفساد! وفي عملها يقال بأنه يجب أن لا يكون ذريعة للعلاقات المحرمة، ونشاطها الاجتماعي يجب أن لا يكون.. وهكذا.

ووصل الحال بنا إلى أن نمنع المرأة صلاة الجماعة في المسجد، والاستماع إلى المسائل الشرعية، لاحتمال أنها إذا خرجت تكون كذا وكذا!!

فلماذا لا تكون هذه القيود أيضا موجودة بالنسبة إلى الشباب من الذكور؟ ولماذا يعطى للرجال حصانة لأنهم رجال، فلا تكون هذه الشروط موجودة بينما تكون كذلك عند الحديث عن كل امرأة.. وكأن كل النساء ينتظرن الفرصة وينظرنها من بعيد حتى إذا وصلن إليها لم يكن همهن إلا إفساد الآخرين!! وإذا وجد بعض ما فيه هذا المعنى من الروايات فإنه لا بد ـ على فرض سلامتها سندا ـ من توجيهها وتأويلها لكذب العموم فيها وجدانا[1].

والأعراف ولو لم تكن ضمن رأيهم الفقهي.. وربما يكون الكثير منها غير موفق في النتيجة لكن حديثنا هو في المحاولة نفسها. ولا سيما ما يرتبط بالقضايا الاجتماعية.

(١)وذلك أننا نشاهد بالعيان تلك النساء المؤمنات الفاضلات سواء في الحاضر أو نسمع عن الماضي، وأن المجتمع قد بني على عمودي الآباء الفاضلين والأمهات الصالحات..

وتعال معي وتطلع إلى خطابات الخطبـاء وكتابـة الكتّـاب ـ وقد يكون هذا الكتاب منها ـ فستجد أن الأكثر عندما يتحـدث عن النساء لا يستطيع أن يتحدث بصراحة وذلـك مـن ضـغط المجتمع وسلطة العوام، فيضطر إلى أن يقيد كلامـه بـشرط كـذا، وعلى أن لا يكون كذا..

ولك أن تأخذ في الحجاب والبرقع مثـالا..فبـالرغم ممـا هـو معروف من أن غالب علمائنا الأحياء لا يوجبـون سـتر قـرص الوجه، وإن استحسنوه.. إلا أن الكـثير مـن الرجـال لم (يهـضم) مثل هذه الفتاوى فراح يراجع، ويعيد السؤال للمراجع الدينيين، ويغير معطياته ومقدماته، ويفرض لكشف الوجـه محـاذير دينيـة واجتماعية، ويبين (سيل الفساد) الذي سيدمر العوائل والمجتمـع على أثر ذلك.. كل هذا من أجل أن يحظى بتغـيير مـن المراجـع فيما توصلوا إليه مـن الحكـم الـشرعي، ويفتـوا بحرمـة كـشف الوجه..

ولـسنا في صـدد الحـديث عـن حرمـة أو حليـة ذلـك، ولا نعتبرها أهم قضية وإنما لنبين كيف أن المجتمع ـ انطلاقا ممـا لديـه من تقاليد أو أعراف ـ مستعد وبالذات في جهة المرأة لكي يصل إلى تغيير الحكم الشرعي في جهة التقييد والمنع.

ـ هناك قضية أخرى تزيد الوضع تعقيدا وهي وقوع المـرأة ميدانا لتصفية الحسابات بين معسكرين فكـريين، وتـدفع المـرأة ضـريبة أصـل المعركـة، وضـريبة انتـصار أي مـن الفـريقين!!

مشكلة المرأة بين (الإسلاميين)[1] والمتغربين أن كلا منهما يظهر صراعه مع الآخر في ميدانها! فالمتغربون ليس عندهم شيء سوى تحرير المرأة بالمعنى الاجتماعي (رفض الحجاب والخروج عن العرف الاجتماعي والديني..الخ) والإسلاميون ليس لديهم سوى رفض ما يقوله المتغربون، والميل زيادة في التحفظ إلى التكثير من القيود، والتشديد.

وتدفع المرأة الضريبة على كلا التقديرين، فإذا فاز المتغربون في مكان وجدتهم قد تركوا القضايا الأساسية لصالح أمور ظاهرية، وأخرى شهوية، وما شابه وبقي التخلف هو التخلف، وانتهاك شخصية المرأة بحاله.. ولك في التجربة التركية خير مثال..

وإذا سيطر هؤلاء ـ غير المنفتحين ـ وجدت القيود، الموجودة أصلا كنتاج للتخلف، قد زادت أضعافا، ولك في تجربة حكم طالبان في أفغانستان أوضح نموذج.

والمشكلة أن المغروس في الأذهان هو أنه لا يوجد خط آخر، ولا منطقة وسطى تحافظ فيها المرأة على شخصيتها، وفي نفس الوقت تقوم ببناء مجتمعها.. مع أن الفهم الصحيح للدين يقضي بذلك!

وما سنجده من تراجم لهذه الشخصيات يبرهن على ما سبق ذكره!

---

(١)قد لا تكون هذه التسميات منطبقة تمام الانطباق على التيارات المتسمية بها، ولكننا نقولها للتمييز والتصنيف فقط

ـ من الأمور التي ينبغي التنبيه عليها هي أن قسما من الكتاب ـ ولعل كاتب هذه السطور ـ منهم عندما يكتبون عن هذا الموضوع، يكونون متأثرين ـ بدرجة أو بأخرى ـ بالمحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه، والوسط الثقافي الذي يتعاملون معه، بل بالوضع الشخصي لهم، فإذا كان الكاتب يعيش في وسط كالباكستان أو أفغانستان، أو بعض بلاد الجزيرة العربية، فإنه ـ في العادة ـ لن يستطيع الكتابة كذلك الذي يعيش في ماليزيا أو حتى لبنان ومصر!!

والذي يعيش في أسرة محافظة تقليدية، أو مع زوجة مشاكسة، لن يكتب كالشخص الذي يعيش مع امرأة متعقلة واعية، فإن قسما من الناس يميل إلى التعميم بناء على تجربة خاصة لا مجال فيها للتعميم. ويرى الحكم العام من خلال نموذج يتعايش معه..

ثم يقوم بنسبة ذلك إلى الإسلام، وتوجيهات الدين، وبالطبع لن يعدم هذا أو ذاك أدلة، وروايات، وغيرها.. في البرهنة على ما يذهب إليه!! فأنت تجد الكل يكتب عن الإسلام ونظرته ، ومع ذلك تجد إسلاما بمقاييس الطالبان، وإسلاما في الطرف المقابل له!!.

وتخلص الكاتب من وضع الشخصي وتجربته الخاصة، بل محيطه الاجتماعي، ليس من السهولة بمكان..

ـ ثمة نقطة أخرى لا بد من الالتفات إليها، وهي خطورة الفهم التجزيئي المعتمد على النظر إلى جانب من الأحاديث أو النصوص.. وهذا ناشئ بدوره عن انفتاح غير المختصين على

تلك النصوص.

إننا ندعو إلى أن ينفتح الجميع على الآيات القرآنية، وأحاديث المعصومين عليهم السلام ولكننا في الوقت نفسه نشير إلى أن غير المختص ينبغي أن يتريث قبل (الإفتاء) بأن هذا هو رأي الدين، ثم يرتب عليه آثارا..

ولقد وجدنا كيف كانت النتائج أشبه بالكارثة، عندما مارس البعض ذلك الفهم التجزيئي في ميادين السياسة!! لقد صارت الرؤوس تدحرج عن أبدانها ذبحا، وأمام أجهزة التصوير في منظر لا يمكن تصور بشاعته.. وصار المجتمع كله هدفا لبعض المتأسلمين، فإذا بالسيارات المفخخة وغيرها تحصد الأرواح البريئة ـ حتى بحساباتهم ـ!

وفي ميدان الفكر وجدنا كيف أن بعض المذاهب، أخطأت المذهب فإذا بهم يتمسكون بظواهر بعض الآيات، وينحون منحى جبريا فيسلبون الإنسان إرادته واختياره، ومسؤوليته تجاه فعله، ويستدلون على ذلك بما في القرآن ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١]. لقد جهلوا أو تجاهلوا العشرات من الآيات التي تتحدث عن مسؤولية الإنسان تجاه عمله[٢]، والنعم التي أعطاها إياه ربه.وأن

---

(١)القصص:٥٦.

(٢)﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ (النحل:٥٦)، ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر:٨)

الله زوده بقوى الهداية بعدما جعل فيه إمكانية الضلال ودعـاه إلى تزكية تلك النفس لكي يفلح[١].

وفي قضايا المجتمع: إن قضية مثـل قـضية المـرأة لا ينبغـي أن ينظر إليها بنظرة عابرة من خلال الاقتصار علـى آيـة ﴿الرِّجَـالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْـضَهُمْ عَلَـى بَعْـضٍ وَبِمَـا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[٢] أو الاكتفاء بالنظر إلى عدد من أحاديـث (ناقصات العقول) أو ما شابهها..

وإنما الصحيح لكي يخرج المتأمل بنظرية متكاملة عـن نظـرة الدين إليها أن يجمـع الآيـات والروايـات، فينظـر مـا فيهـا مـن محكمات وما فيها من متشابهات، وأي النـصوص الروائيـة نـاظر إلى حالة مؤقتة، وقضية خارجية، وأيهـا الآخـر نـاظر إلى طبيعـة المرأة، وأيها ناظر إلى تحديد الرؤية الدينية تجاهها.
ليس من المعقول أن تعالج قـضية بهـذا القـدر مـن الأهميـة، مـن خلال رواية أو روايتين، وخصوصا مع ضعفها، بـل لا بـد مـن النظر إلى محكمات الآيات، والأصول العامة الواردة في الروايـات، ثم ترد تلك الروايات إلى هذه الآيات، وهذي الأصول.

---

(١)﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَاقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس:٧ـ١٠).
(٢)النساء:٣٤.

محاولة لفهم أحاديث في شأن المرأة

لا تشاوروهن!!

يوجد عدد من الروايات ظاهرها أنه ينبغي ترك مشاورة النساء عموما، وأنه إذا أريد مشاورتهن فإنما هو لأجل المخالفة!! وقد شاع هذا المعنى في الأوساط الرجالية بحيث أصبح حتى صغار السن من الذكور يرون أنهم لا ينبغي أن يشاوروا النساء ولو كن راجحات العقل، أو أمهات حكيمات!! بل ربما رأى بعض الأولاد أن على أمهاتهن أن يسمعن كلامهم!! دون العكس لأنه لا ينبغي المشاورة مع النساء!!

والذي يهمنا هنا هو إلقاء نظرة على الروايات الواردة في هذا الباب، والتأمل في معناها..

فقد نقل في الكافي بسنده[1] عن الصادق عليه السلام أنه قال: إياكم ومشاورة النساء فإن فيهن الضعف والوهن والعجز.

---

(١)عن محمد بن يحيى عن أبي عبد الله الجأموراني، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن صندل عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله: السند غير معتبر بأكثر من واحد

وفيه أيضا[١] عن إسحاق بن عمار، رفعه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد الحرب دعا نساءه فاستشارهن ثم خالفهن.

وفي البحار، عن كتاب الامامة والتبصرة لعلي بن بابويه بسنده[٢] عن الصادق، عن أبيه، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «شاوروا النساء وخالفوهن، فإن خلافهن بركة».

ونحن ـ بعد الغض عن ان كثيرا من أسناد تلك الروايات لا يتمتع بميزة الاعتبار ـ نسجل هذه الملاحظات لعلها تنفع في فهم الأحاديث المتقدمة، وأمثالها:

الأولى: أن بعض الروايات معللة، بمعنى أن علة عدم المشاورة مذكورة فيها، مثل الرواية الأولى حيث قال: «إياكم ومشاورة النساء فإن فيهن الضعف والوهن والعجز» والعلة كما هو معروف تعمم وتخصص، أي أن من كان فيه الضعف والوهن والعجز فلا ينبغي مشاورته، والحكم في حقيقة الأمر بالنسبة للواهن والعاجز والضعيف، سواء كان رجلا أو امرأة.. (نعم لما كانت النساء ـ نوعا ـ أقرب إلى تلك الصفات خُصت

---

(١)محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سيف: السند فيه الحسين بن سيف بن عميرة وهو ممن لم يوثق بتوثيق خاص فتكون الرواية ضعيفة، لكنه مذكور في رجال مزار بن المشهدي، وعلى رأي بعضهم يكون ثقة بهذا الاعتبار.

(٢)عن هارون بن موسى، عن محمد بن علي، عن محمد بن الحسين، عن علي ابن أسباط، عن ابن فضال: فيه محمد بن علي بن معمر وهو ممن لم يذكر بتوثيق.

بالذكر). وهذا يذكرنا بعدد من الأصناف التي ذكرت فيمن لا ينبغي مشاورتهم، مثل البخيل والجبان وأمثالهم.. فعدم المشاورة يدور مدار الصفة لا الجنس. فقد تحدثت الروايات عن عدد من الأصناف ممن لا ينبغي مشاورتهم[1]: منهم الجبان، والبخيل، والحريص، والكذاب، والأحمق، حتى لو كان هؤلاء رجالا متدينين!

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي لا تشاور جبانا فإنه يضيق عليك المخرج، ولا تشاور البخيل فإنه يقصر بك عن غايتك، ولا تشاور حريصا فإنه يزين لك شرها». وعن أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه للأشتر لما ولاه مصر: «لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جبانا يضعفك عن الأمور، ولا حريصا يزين لك الشره بالجور».

و عنه عليه السلام: «لا تستشر الكذاب، فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب».

ومثلما كانت هذه الصفات مانعة عن استشارة أصحابها، فإن مثلها من العاطفة ومقدار من التسرع موجود في كثير من النساء، وأما من جربت بكمال، فينبغي أن تكون خارجة من حكم هذه الروايات، فلا مانع من استشارة المرأة اللبيبة الكاملة، وقد ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام استثناء من جربت بكمال[2].

---

(1)ميزان الحكمة ـ محمدي الريشهري ج ٢ ص ١٥٢٥.

(2)كنز الفوائد للكراجكي، وكنز العمال للمتقي الهندي وغيرهما.

الثانية: أننا نجد في القرآن الكريم ما يشير إلى مشاورة بعض النساء، والقبول منهن، وأن رأيهن كان هو الراجح، كما في مثال بنت النبي شعيب عليه السلام، عندما أشارت على أبيها أن يستأجر نبي الله موسى عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[1].

وعندما يقص نبأ بلقيس، يشير إلى بعض صفاتها الحسنة، مثل أنها شاورت الرجال، ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ وبينما يظهر القرآن الكريم صورة أولئك الرجال والمستشارين الذين كان ينبغي فيهم أن يلتزموا جانب الحكمة والتعقل، لكنهم أجابوا بما هو سيء، ونحوا منحى التصعيد والقتال، ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّة وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾، إلا أنها اتخذت القرار المناسب والنتيجة كانت أنها بعثت للنبي سليمان بهدية، ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّة فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾، وصار بها الأمر من التعقل والحكمة إلى أنها آمنت بسليمان.. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وعندما يتحدث القرآن الكريم عن فطام الطفل يوصي بالتراضي والتشاور بين أب الطفل وأمه، ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إلا

---

(١) القصص:٢٦.
(٢) النمل الآيات من ٣٢ إلى ٤٤.

وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾(١).

وفي موضوع الزواج وقبول الزوج فقد يقال بمشاورة الرجل للأم، كما روى الجمهور عن رسول الله ﷺ أنه قال: «آمروا النساء في بناتهم».

وأما في سيرة النبي ﷺ فنحن نجد أكثر من مورد في قبوله مشورة بعض النساء، فقد ذكر المؤرخون في السيرة انه بعدما توفيت السيدة خديجة عليها السلام، أشارت عليه خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون ـ ويظهر أنها هي التي وهبت نفسها للنبي فيما بعد ـ كما ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات ناقلا عن رواته:

جاءت خولة بنت حكيم بن الاوقص السلمية امرأة عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة!

فقال: أجل فكانت أم العيال وربة البيت!!

قالت: أفلا أخطب عليك قال بلى فإنكن معشر النساء أرفق بذلك فخطبت عليه سودة بنت زمعة من بني عامر بن لؤي وخطبت عليه ﷺ عائشة بنت أبي بكر فتزوجها فبنى بسودة بمكة وعائشة يومئذ كانت بنت ست سنين حتى بنى بها بعد ذلك

(١)البقرة: ٢٣٣.

حين قدم المدينة[١].

كما نقل رواة السيرة كذلك ما جرى بينه وبين أم سلمة في صلح الحديبية، فقد أشارت عليه بأن يحلق رأسه ويخرج لهم لكي يقتدوا به فقد روى علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «كان سبب نزول هذه السورة (سورة الفتح) وهذا الفتح العظيم، إن الله عز وجل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم، أن يدخل المسجد الحرام ويطوف ويحلق مع المحلقين، فأخبر أصحابه وأمرهم بالخروج فخرجوا، فلما نزل ذا الحليفة أحرموا بالعمرة وساقوا البدن، وساق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستا وستين بدنة، وأشعرها عند إحرامه، وأحرموا من ذي الحليفة ملبين بالعمرة، قد ساق من ساق منهم الهدي مشعرات مجللات» وساق قصة الحديبية وصدهم المشركون وكيفية الصلح. إلى أن قال عليه السلام: «وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انحروا بدنكم واحلقوا رؤوسكم، فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت، ولم نسع بين الصفا والمروة؟ فاغتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك، وشكا ذلك إلى أم سلمة، فقالت: يا رسول الله انحر أنت واحلق، فنحر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحلق، فنحر القوم على غير يقين، وشك وارتياب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعظيما للبدن: رحم الله المحلقين. وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله، والمقصرين؟ لان من لم يسق هديا لم يجب عليه الحلق، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثانيا: رحم الله المحلقين الذين لم يسوقوا الهدي، قالوا: يا رسول الله والمقصرين فقال: رحم الله المقصرين»

---

(١)الطبقات الكبرى ٨ /٥٧.

الخبر[١].

وهذا يعني أن من جربت بكمال عقل ـ في الحدود العادية لا الكمال الكلي ـ فإنه لا مانع من مشاورتها والأخذ برأيها.

---

(١)مستدرك الوسائل ـ الميرزا النوري ج ٩ ص ٣١٢ / علي بن إبراهيم في تفسيره: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان ونقل الشيخ اليوسفي في كتابه موسوعة التاريخ الإسلام، عن مغازي الواقدي ٢: ٦١٣: لما فرغ رسول الله من الكتاب... قال لأصحابه: قوموا فانحروا واحلقوا! فلم يجبه منهم رجل إلى ذلك! فقالها رسول الله ثلاث مرات، كل ذلك يأمرهم، فلم يفعل واحد منهم ذلك! فانصرف رسول الله حتى دخل على زوجه أم سلمة مغضبا شديد الغضب، قالت: واضطجع، فقلت له: ما لك يا رسول الله ؟ مرارا وهو لا يجيبني. ثم قال: عجبا ـ يا أم سلمة ـ إني قلت للناس: أنحروا واحلقوا وحلوا مرارا، فلم يجبني أحد من الناس إلى ذلك وهم يسمعون كلامي وينظرون في وجهي! فقلت: يا رسول الله، انطلق إلى هديك فانحره فإنهم سيقتدون بك. فقام واضطبع بثوبه (الإحرام، جعل طرفه تحت إبطه الأيمن والآخر على كتفه الأيسر) وأخذ الحربة وخرج يزجر هديه، وأهوى بالحربة إلى البدنة رافعا صوته: بسم الله والله اكبر. فما أن رأوه نحر حتى تواثبوا إلى هديهم فازدحموا عليه. وأكل المسلمون من هديهم الذي نحروا، وأطعموا المساكين والمعتر (المتعرض للسؤال) ومن يسأل ممن حضر غير كثير. وحين فرغ النبي من نحر البدن دخل قبة له من ادم حمراء فحلق الحلاق رأسه، فخرج من قبته وهو يقول رحم الله المحلقين ـ ثلاثا ـ فقيل يا رسول الله، والمقصرين ؟ فقال: والمقصرين. وقد حلق ناس، وقصر آخرون. وقصر النساء. والذي حلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم خراش بن أمية. وقد أقام بالحديبية بضعة عشر يوما أو عشرين.

وهذه القضية أيضا بدورها يمكن أن تفسر لنا المراد من القول: أن النبي كان إذا أراد الحرب شاور نساءه فخالفهن.فقد يكون المقصود بعض تلك النساء ممن لم يبلغن مبلغ أم سلمة في رجاحة العقل، وقد يكون ـ على تأمل ـ تخطيطا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليعمي على الكفار، توجهه فإنه صلى الله عليه وآله وسلم عندما يخبر تلك النساء بأمره ويشاورهن فيشرن عليه بجهة، ليس بعيدا أن يتسرب الأمر إلى خارج هذه الدائرة، فإذا اتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أشارت عليه به النساء كشف أمر الغزو لأعدائه لا سيما مع وجود اليهود والمنافقين في المدينة، واختلاطهم بالمسلمين واطلاعهم على أحوالهم.. وأما لو خالف ذلك فإنه يحمي خطته الحربية من الانكشاف.. وقد نقل كُتّاب السيرة النبوية أنه كان إذا أراد جهة في الغزو عمّى عليها وربما اتجه في بادئ أمره إلى غير جهتها ثم انعطف إليها..

الملاحظة الثالثة: ما سيأتي في الحديث عن معنى ناقصات العقول، هو أن الأحاديث تشير إلى واقعة سياسية، وأخرى فكرية[1]، سوف تتبع فيها الأمة النساء، ويأتمرون فيها بأمرهن، وستخاض الحروب[2] بقيادة بعض النساء.. مع أنهن يكره

(١)روى بعضهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خذوا نصف دينكم عن الحميراء»!

(٢)ينقل السيد العاملي في كتابه الصحيح من سيرة الرسول الأعظم ٨٥/٦، عن مغازي الواقدي أنه: لما انتهت قريش إلى الأبواء، ائتمروا في أن ينبشوا قبر أم محمد ، وقالوا: فان النساء عورة، فان يصب من نسائكم أحدا، قلتم: هذه رمة أمك. فان كان برا بأمه ـ كما يزعم ـ

مشاورتهن!!

الملاحظة الرابعة: هي أنه يحتمل أن يكون المعنى في (شاوروهن وخالفوهن) أنكم لستم ملزمين بعد الاستشارة بإتباع ما يقلن لكم ويشرن عليكم، فيمكن أن تستشيروهن ولكم أيضا أن تخالفوهن.. وقد ذكر بعض الأعاظم هذا حيث قال في تفسير (وشاورهم في الأمر): لا يستلزم العمل برأيهم و الاستعانة بذلك، ولهذا ورد في مشاورة النساء: شاوروهن وخالفوهن بل فيها فوائد إلا من اعتراضهم إذا وقع أمر يسوءهم وتطييب لقلوبهم واستمالة لهم بإظهار اعتبارهم وحسن المداراة والخلق معهم كما مر، وترغيب للناس في المشاورة كما في الأخبار أيضا[1]. وهذا الكلام معقول لولا أن في بعض تلك الروايات تذييلا هو: ففي خلافهن البركة.

الملاحظة الخامسة: يحتمل أن ما ورد من الحث على مخالفة النساء وأن طاعة المرأة ندامة، يقصد منه ما فسرته أحاديث أخر، بأنه المخالفة في ما يؤدي إلى المحاذير الشرعية، مثلما ورد مرويا[2]

فلعمري لنفادينهم برمة أمه، وان لم يظفر بأحد من نسائكم، فلعمري ليفدين رمة أمه بمال كثير، إن كان بها برا. وكانت زعيمة هذا الرأي هند زوجة أبي سفيان، فاستشار أبو سفيان أهل الرأي من قريش، فقالوا: لا تذكر من هذا شيئا، فلو فعلنا نبشت بنو بكر وخزاعة موتانا.

(1)زبدة البيان ـ المحقق الأردبيلي ص ٣٣٣.

(2)علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام: فيه النوفلي ولم يوثق. لكنه مذكور في رجال تفسير

عن الصادق عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أطاع امرأته أكبه الله على وجهه في النار، قيل: وما تلك الطاعة؟ قال: تطلب منه الذهاب إلى الحمامات والعرسات والعيدات والنياحات و الثياب الرقاق..

ومن الواضح أن في تلك الأمور محاذير شرعية. أما لو كان مثل الحمام للتنظف، والأعراس لقضاء الحقوق الاجتماعية، فلا مانع منه كما هو واضح.

وهكذا ما فسرته أحاديث في أن المقصود بالمشاورة هو المشاورة في أسرة الزوج وقرابته، والعادة قاضية في الغالب بأن دخول الزوجات[1] في مثل هذا الأمر من شأنه أن يعقد العلاقة بين الزوج وبين أرحامه وأسرته..وهذا ما تشير إليه روايات مثل: «لا تشاوروهن في النجوى ـ القضايا السرية ـ ولا تطيعوهن في ذي قرابة».

ومن جهة أخرى لكيلا يتحول الوضع في البناء الأسري إلى أن يكون الرجل مدبَّرا ومداراً وتابعاً فإن «كل امرء تدبره امرأة فهو ملعون» وذلك لأنه عكس المعادلة الإلهية (الرجال قوامون على النساء).

ولعل هناك جهة ثالثة وهي أن التعود على الاستجابة

علي بن إبراهيم ـ القسم الأول ـ.

(١)نتحدث عن الغالب وإلا فإن هناك استثناءات واضحة في هذا الأمر بحيث يكون دخول الزوجة فيما بين زوجها وأسرته إيجابيا للغاية.

لطلبات الزوجة والمرأة ـ حتى لو كانت حقا ـ يستدرجها إلى غير المعروف في طلباتها، ولذلك كان من اللازم أن يوضع حد في ذلك، وأن لا يشعر الرجل أنه مطلوب منه أن يستجيب لكل ما تريده منه المرأة، وأن لا تشعر المرأة أنها لا بد أن تنفذ طلباتها، وأن «طلبها أمر لا يُرد» ولهذا ورد «ولا تطيعوهن في المعروف فيطمعن منكم في المنكر»[1].

ـ إن التحذير من أن يشاور الرجل من ليس من أهل الرأي ينبغي أن يكون مرة وذلك لأن الابتلاء به قليل، ولكن معاشرته لزوجته دائمة وتأثره بها لجهة العلاقة العاطفية تأثر كبير، ولعل هذا ما يشير إليه ما ورد في الحديث: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن»..

ناقصات العقول

أيضا من الأفكار التي يتناقلها عادة الرجال، لبيان (فضلهم، وعلو شأنهم) أن النساء ناقصات العقول، وأن الرجال بالتالي هم الكاملون عقلا. ومن المناسب أن نسلط بعض الضوء على هذه الكلمات، الواردة في عدد من الروايات لنرى ماذا تعني:

---

(١)في مثل هذا النوع من الأحاديث يحتمل أن يكون ناظرا إلى فئة من النساء، كان يلاحظها المعصوم عند حديثه، وأن وضع هؤلاء النساء هو بهذا النحو الذي لو تمت الاستجابة له في المعروف لطمع في المنكر. فيكون قضية في واقعة، وحديثا ناظرا إلى حالة خارجية ذات زمان ومكان وأشخاص معينين. أو هو كما ذكر في المتن.

ـ فقد أخرج أحمد بن حنبل في كتابه المسند[١] عن رسول الله أنه قال: يا معشر النساء تصدقن وأكثرن فاني رأيتكن أكثر أهل النار لكثرة اللعن وكفر العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن!! قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال أما نقصان العقل والدين فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي لا تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين.

ـ وروي عن أمير المؤمنين أنه خطب في جيشه فقال: «...ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ناقصات القوى والأنفس والعقول، وقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة فيعير بها وعقبه من بعده»..[٢]

وكذلك نقل الشريف الرضي في نهج البلاغة[٣] عن أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ـ ومن خطبة له عليه السلام بعد حرب الجمل في ذم النساء:

معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان نواقص الحظوظ نواقص العقول. فأما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن. وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الإنصاف من مواريث الرجال. وأما نقصان عقولهن فشهادة

---

(١)ج ٢ ص ٦٦.
(٢)وسائل الشيعة الحر العاملي ج١٥ ص ٩٥
(٣)نهج البلاغة ج ١ ص ١٢٩.

امرأتين كشهادة الرجل الواحد. فاتقوا شرار النساء. وكونوا من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر.

ونقل الحر العاملي في الوسائل[1] أيضا عن التفسير المنسوب للامام العسكري عليه السلام حديثا يقرب مما نقله في مسند أحمد، لكن مع تفصيل..

الحسن بن علي العسكري عليه السلام في (تفسيره) عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ قال: إذا ضلت إحداهما عن الشهادة فنسيتها ذكرت أحداهما الأخرى بها فاستقاما في أداء الشهادة عند الله شهادة امرأتين بشهادة رجل لنقصان عقولهن ودينهن، ثم قال: معاشر النساء خلقتن ناقصات العقول، فاحترزن من الغلط في الشهادات، فان الله يعظم ثواب المتحفظين والمتحفظات في الشهادة، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما من امرأتين احترزتا في الشهادة فذكرت إحداهما الأخرى حتى تقيما الحق وتنفيا الباطل إلا وإذا بعثهما الله يوم القيامة عظم ثوابهما، ثم ذكر حديثا طويلا يتضمن ثوابا جزيلا..

والاحتمالات في هذه الكلمات متعددة:

١/ فيحتمل أن تكون ناظرة إلى الوضع السياسي الحرج الذي خاضه المسلمون أيام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قادت

---

(١)وسائل الشيعة الحر العاملي ج ٢٧ ص ٣٣٥.

زوجة النبي عائشة حرب الجمل ضد أمير المؤمنين عليه السلام وقد اتبعها عدد كبير من المسلمين، فخالفت زوجة النبي نص القرآن الذي أمر نساء النبي بأن يقررن في بيوتهن ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[1]، وخالف المسلمون ما هو مرتكز في الأذهان من أنهم ينبغي أن لا يسيروا خلف امرأة خصوصا في مثل ذلك الأمر المهم الذي نشأ عنه عشرات الآلاف من القتلى والجرحى.. ولعل تأكيد النبي على أنه لا ينبغي أن تتولى المرأة أمر الرجال، في وسط أصحابه، كان له ارتباط بهذا الأمر.

ولهذا يحتمل عدد من الباحثين أن تكون تلك الكلمات ناظرة إلى الوضع السياسي وناقدة له، وليس لها إطلاق فضلا عن العموم، ليشمل كل النساء. فقد قال المرحوم السيد الشيرازي قدس سره[2]: إن أمير المؤمنين إنما أشار إلى واقعة خاصة في تنقيص المرأة المعهودة وليس المقصود به كل النساء، حيث أن كلامه هذا كان بعد فراغه من حرب الجمل.

أو أن تكون تلك الكلمات ناظرة إلى قضايا خارجية، بأن يتحدث عن عدد من النساء أو نساء معهودات، فليس لها نظر إلى كل النساء في كل الأزمنة.. تماما مثلما أننا نجد روايات تذم أهل الكوفة أيام أمير المؤمنين وتصفهم بالشقاق والنفاق، بينما

---

(١)الأحزاب: ٣٣.
(٢)اللاعنف في الإسلام: آية الله العظمى السيد الشيرازي.

توجد روايات تمدح الكوفة وتحث على السكن فيها[١].

فكذلك هذا الأمر، والشاهد على ذلك هو ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما جاءه أحدهم وشكى نساءه إليه، فقال ذلك الكلام..

وربما يكون ما نقل في حديث النبي من أنكن (تكفرن العشير ـ الزوج ـ وتكثرن اللعن) ناظرا إلى تلك الفئة المخاطبة أو أنه تعليل فيخرج عنه من النساء من لم تكن كذلك لعانة، منكرة لمعروف زوجها بحيث تكون معه الدهر فإذا غاضبته قالت له ما رأيت منك خيرا.

٢/ يحتمل أن يكون نظر هذه الروايات إلى تحميل الرجل مسؤولية إضافية، في رعاية المرأة، والعطف عليها، وتحمل عنفها ومشاكلها، وهذا نظير أن يقال للكبير: أنت كبير القوم فينبغي

---

(١)عن الإمام الصادق عليه السلام: من كان له دار في الكوفة فليتمسك بها) مستدرك الوسائل ج ١٠

وذكر في البحار بسنده عن أمالي المفيد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفار، عن ابن عيسى عن ابن البطائني، عن عبد الله بن الوليد قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام في زمن مروان فقال: ممن أنتم ؟ فقلنا: من أهل الكوفة، قال: ما من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة لا سيما هذه العصابة، إن الله هداكم لأمر جهله الناس فأحببتمونا وأبغضنا الناس، وتابعتمونا وخالفنا الناس، وصدقتمونا وكذبنا الناس فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا، فاشهد على أبي أنه كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقربه عينه أو يغتبط إلا أن تبلغ نفسه هكذا وأهوى بيده إلى حلقه...

أن تتحمل مساوئ صغيرهم ومشاكله.. فتتحدث هذه الروايات عن المرأة باعتبارها عندها ذلك النقص العقلي الكمي والنسبي ـ الذي سيأتي بيان أنه بالقياس إلى العاطفة ـ، تحتاج إلى نوع أعلى من الرعاية والعطف، وأن لا تعامل معاملة قاسية.. «فداروهن على كل حال وأحسنوا لهن المقال لعلهن يحسن الفعال».

ومثل قوله في موضع آخر «ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ناقصات القوى والأنفس والعقول، وقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة فيعير بها وعقبه من بعده».

وأيضا يمكن أن يكون لهذه الروايات غرض آخر، وهو أن تتفهم المرأة طبيعة وضعها فلا تطلب أكثر مما ينبغي، ولعل هذا من المشاكل المعاشة في المجتمعات المعاصرة.. فإذا عرفت المرأة نقاط ضعفها حاولت أن تصلحها، وإذا تبين لها غلبة العاطفة عندها كان أحرى بها أن لا تتولى أمورا تحتاج إلى حذف العواطف، وربما تتحدث بعض الروايات عن هذا الموضوع كالذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: معاشر النساء خلقتن ناقصات العقول، فاحترزن من الغلط في الشهادات، فان الله يعظم ثواب المتحفظين والمتحفظات في الشهادة، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما من امرأتين احترزتا في الشهادة فذكرت إحداهما الأخرى حتى تقيما الحق وتنفيا الباطل إلا وإذا بعثهما الله يوم القيامة عظم ثوابهما..»

وهذا نظير أن يقال للرجل مثلا إنك خلقت صلب البنية وشديد العضلات فيصلح لك القتال ولا يصلح لك مواضع العاطفة!! أو يقال للخشن إنه لا يناسب لك الأعمال التي تحتاج إلى نعومة.

٣/ أنه قد يكون من قبيل ما هو الحديث مع الناس بلسانهم وحسب مرتكزاتهم من دون أن يُعتقد به، فقد احتمل بعض الباحثين أن ذلك الكلام من المعصومين هو على ما كان الناس يعتقدونه من نقص النساء، ويشير هؤلاء إلى أن الدليل على ذلك النقص من أنه نقص العقول دليله أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل،أو إن دليل نقص الحظوظ هو نقص الميراث، أو أن دليل نقص الإيمان القعود عن الصلاة أيام الحيض.. هذه ليست أدلة قوية، وإنما هي نوع من الاستشهاد على ما كان مغروسا في أذهان أولئك السامعين من نقص النساء.. وذلك لكي تكون الحجة عليهم أقوى، وهي أنكم الذين تعتقدون بأن النساء بهذا النحو من النقص كيف طاوعتكم أنفسكم على طاعة إحدى النساء حتى ضربتم بين يديها بالسيوف؟ وكيف التزمتم في فقهكم ودينكم بما تمليه عليكم امرأة وأخذتم ثلث دينكم منها؟ والحال أنكم ترون النساء ناقصات؟

٤/ الاحتمال الرابع: أن النقص المشار إليه في هذه الكلمات هو نقص كمي لا كيفي، ولا مشكلة في أن يكون لدى الإنسان نقص كمي، ما لم يؤد إلى نقص كيفي. فنقص المال عند الإنسان نقص كمي لا يؤثر في إنسانيته ولا كرامته. ونقص بعض أعضائه كيده أو رجله كذلك.. لا يؤثر في منزلته.

وذلك بخلاف نقص عقله مثلا! بمعنى كونه على حد الجنون أو البلاهة الشديدة فإنه يؤثر على ذاته. وقد وصف الرجل أيضا بنقصان العقل إذا عمل ما يدل على ذلك مثل قول أمير المؤمنين عليه السلام: «وزهدك في راغب فيك نقصان عقل»[1].

إن النقص العقلي الذي تتحدث عنه تلك الروايات هو النقص بالقياس، والنقص النسبي وهو لا يؤثر في كرامة المرأة أو إنسانيتها، ولا يغير تكليفها أو ينقصه بل تبقى مكلفة بنفس تكاليف الرجل إلا ما خرج بالدليل بمقتضى قاعدة الاشتراك في الأحكام. نعم سوف يعالج الإسلام هذا النقص الكمي، ببعض التشريعات الدينية المناسبة له، مثل ﴿أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾ ومثل حظر الولايات العامة على المرأة (على المشهور من رأي الفقهاء).. وهكذا.

إن الحالة العاطفية المركزة الموجودة في المرأة، والتي يقتضيها دورها كأم وزوجة، هي حالة كمال وجمال، كمال في الوظيفة، وجمال في الأداء.. فلك أن تتصور امرأة بلا عاطفة كيف ستكون رعايتها لأسرتها؟ وأي صحراء سيكون البيت الذي تسكنه؟ لكن هذا الكمال في هذه الجهة هو نقص بالقياس إلى جهة أخرى.. تماما مثلما أن أوراق الوردة الناعمة كمال في جهة، ولكن لو أريد استعمالها في مكان القماش الذي يحفظ الأشياء أو سكينا للقطع كانت غير مفيدة!! والإصبع الخنصر لو أريد استعماله في موضع الوسطى لما كان نافعا لكن حجمه الصغير في موقعه نافع

---

(١) بحار الأنوار ٧١/ ١٦٤.

وجميل..

الضلع العوجاء:

أخرج البخاري في صحيحه[١]، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء».

ومن طريق أهل البيت عليهم السلام، ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره بسنده[٢] عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن إبراهيم عليه السلام كان نازلا في بادية الشام، فلما ولد له من هاجر إسماعيل، اغتمت سارة من ذلك غما شديدا، لأنه لم يكن له منها ولد، وكانت تؤذي إبراهيم في هاجر فتغمه، فشكى إبراهيم عليه السلام ذلك إلى الله عز وجل، فأوحى الله إليه: إنما مثل المرأة مثل الضلع العوجاء، إن تركتها استمتعت بها، وإن أقمتها كسرتها» الخبر.

ويظهر أن المراد من هذا النمط من الأحاديث أن طبيعة المرأة، فيها من العاطفة الشيء الكثير، ومن الطبيعي أن تكون هذه العاطفة فيها الجموح، والتقلب، والعنف، فلا تكون على مستوى واحد طيلة الوقت.. هذا بحسب الطبيعة الخلقية.

ويضاف إليه ما تتعرض له المرأة في أدوارها المختلفة من

(١) ٤/ ١٠٣.

(٢) مستدرك الوسائل ـ الميرزا النوري ج ٤١ ص ٢٥٤: علي بن إبراهيم في تفسيره: عن أبيه، عن النضر، عن هشام.

ظروف صحية استثنائية، فهذا عامل آخر يجعل من الطبيعي أن لا تكون في كل الأحوال على سجية واحدة..

وليس معنى ذلك أن ما سبق هو حالة سيئة بالضرورة فقد تكون حالة حسنة. إن جمال الغابة هو في إبائها على التنظيم، حتى إذا دخلت إليها يد الإنسان بالتقطيع والاسمنت تحولت إلى منظر ميت!! والشجرة التي تشظت أغصانها يمينا وشمالا، وتعالت في الفضاء أجمل بكثير من تلك التي (حُلقت) بالمقص حتى عادت هي والجدار شيئا واحدا.

والضلع المنحني يجسد من الرقة والعطف ما لا تقوم به الكلمات، ويحمي ما بداخله من أعضاء ما لا تستطيعه عظام الساق القوية، ويبرز الجمال الإنساني بأفضل ما يمكن!! تصور لو كان القوام البشري معتمدا على عظام مستقيمة نافرة في مقدمة الجسد وفي وسط البطن.. هل كان قوام الإنسان جميلا كما نراه الآن بالضلع المنحني (الأعوج)؟

إن الخطأ هو أن يحاول البعض تقويم الضلع المنحني وجعله مستقيما!!

المرأة هي تلك الضلع المنحني حماية، وجمالا، فلا ينبغي تقويم هذا الضلع لأنه غير ممكن من جهة لأنه لا يعود ضلعا، وغير صالح لوظيفته من جهة أخرى وغير جميل المنظر من جهة ثالثة.

فنحن لا نعتقد أن الحديث هذا وأمثاله وارد في سياق الذم للنساء وإنما هو تعريف للرجل بطبيعة المرأة، وتوعية له بما يصلحها، وكيفية التعامل معها.

لا ترى أحدا ولا أحد يراها:

من الأحاديث التي تثير أسئلة في ذهن الناشئة، الحديث الذي يروى عن فاطمة وأنها قالت خير للمرأة (أو خير النساء) أن لا ترى رجلا، ولا يراها رجل.. فما هو المقصود منه؟

وقد نقل هذا الحديث في كتاب دعائم الإسلام[1] الذي ألفه

---

(١)كتاب دعائم الإسلام:
مؤلف هذا الكتاب هو القاضي أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله التميمي المغربي (ت ٣٦٣ هـ)، كان قاضيا أيام الفاطميين، وقد كان في أول أمره مالكيا ثم استبصر. ويلحظ أن رواياته في الكتاب تنتهي إلى الإمام الصادق من دون أن يروي عمن بعده من الأئمة صراحة، ولعله لجهة التقية من الفاطميين الإسماعيليين. وقد مدحه أكثر من تعرض لترجمته من علمائنا. له أكثر من أربعة وأربعين كتابا لم يبق منها إلا هذا الكتاب وسبعة عشر كتابا غيره كما ذكر بعضهم في مقدمة الدعائم. يعرف القاضي النعمان أيضا بأبي حنيفة الشيعي.
وقد ضمن المؤلف أن يقتصر فيه على ما هو ثابت صحيح عن الأئمة، قال في المقدمة «..قد رأينا وبالله التوفيق عند ظهور ما ذكرناه أن نبسط كتابا جامعا مختصرا يسهل حفظه ويقرب مأخذه، ويغنى ما فيه من جمل الأقاويل عن الإسهاب والتطويل، نقتصر فيه على الثابت الصحيح مما رويناه عن الأئمة من أهل بيت رسول الله ﷺ من جملة ما اختلفت فيه الرواة عنهم في دعائم الإسلام، وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام..».
رأي العلماء في الكتاب:
١/ قال البعض منهم باعتبار الكتاب، وذلك لأن الكتاب كان مشهورا في زمان مؤلفه وما بعده، حتى أن سلاطين الفاطميين جعلوا مالا لمن

القاضي النعمان المغربي، قال: وعن علي عليه السلام أنه قال: قال لنا رسول الله: أي شيء خير للمرأة؟ فلم يجبه أحد منا، فذكرت ذلك لفاطمة عليها السلام فقالت: ما من شيء خير للمرأة من أن لا ترى رجلا ولا يراها، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: صدقت، إنها بضعة مني. ونقل نفس هذا الحديث المتقي الهندي[1]:

عن الحسن البصري قال: قال علي بن أبي طالب: قال لنا

يحفظ الكتاب، وهذا يجعل الكتاب معروفا، فلا حاجة إلى طريق خاص ولذا يعمل به هؤلاء ويرونه معتبرا. ومن هؤلاء المحدث لنوري في المستدرك، وشيخ الشريعة الأصفهاني.

بل ربما يمكن القول أنه كان موجودا أيام الشيخ الذي عده في الفهرست من تأليفات الصدوق اشتباها من الشيخ مع وجود إشارات فيه تبين أنه في مصر، وأنه في حضرة الخليفة...

وقد دافع المحدث النوري عن المؤلف والكتاب، فرفض أن يكون الأول إسماعيليا وإنما أظهر ذلك تقية لهم، ورأى أن في الكتاب روايات متعددة عن الأئمة بعد الصادق عليه السلام، بل ذكر دعاء التقرب بعد الصلاة، وفيه ذكر أسماء كل الأئمة الاثني عشر.

٢/ وقال آخرون بأنه لا يمكن الاعتماد على الكتاب مع جلالة شأن مؤلفه، وذلك لعدم طريق صحيح إلى الكتاب، فإن كونه مشهورا في زمانه لا يعني أن ما بيدنا هو ذاك الكتاب بعينه من غير زيادة أو نقيصة خصوصا لو تم ما ذكره بعضهم من أول نسخة عثر عليها كتبت بعد وفاة المؤلف بحوالي خمسمائة سنة.

ولذا رأى العلامة المجلسي أنه يجوز أن تخرج أحاديثه شاهدا ومؤيدا.

(١)كنز العمال ج ١٦ ص ٦٠١.

رسول الله ﷺ ذات يوم: أي شيء خير للمرأة؟ فلم يكن عندنا لذلك جواب، فلما رجعت إلى فاطمة قلت: يا بنت محمد! إن رسول الله ﷺ سألنا عن مسألة فلم ندر كيف نجيبه! فقالت: وعن أي شيء سألكم؟ فقلت: قال: أي شيء خير للمرأة؟ قالت: فما تدرون ما الجواب: قلت لها: لا، فقالت: ليس خير من أن لا ترى رجلا ولا يراها، فلما كان العشي جلسنا إلى رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله! إنك سألتنا عن مسألة فلم نجبك فيها، ليس للمرأة شيء خير من أن لا ترى رجلا ولا يراها، قال: ومن قال ذلك؟ قلت: فاطمة: قال: صدقت، إنها بضعة مني..

والكلام في توضيح معاني الحديث، هو بعد الفراغ عن جهات السند، وإلا فإنه لا يثبت في هذه المرحلة فإن القاضي المغربي أرسل الحديث من غير إسناد أصلا.. فلا يكون حجة. ومثله ما في الكنز.

ويمكن فهم هذا الحديث من خلال الملاحظات التالية:

١/ أنه لا بد من تخصيص (أحدا أو رجلا) بغير المحارم، كالجد، والأب والأولاد والإخوة، والأعمام والأخوال، فإنه لا يتصور أن الدين يحبذ أن لا ترى المرأة أرحامها أو أن أرحامها لا يروها!

كما أنه يخطر بالبال أنه لا بد من تخصيص الرؤية، بالرؤية الشهوية. دون الرؤية الاتفاقية، أو التي تدعو إليها الضرورة. فإنه لم يعهد من المعصومين نهي عن الحج وهو مظنة الرؤية الاتفاقية، ولا عن صلاة الجماعة وقد ورد فيها أن النساء كن يصلين مع

رسول الله في المسجد. بل قد ورد أن فاطمة قد زارها جابر بن عبد الله الأنصاري لكي ينظر إلى ما في الصحيفة من أسماء المعصومين[1].

وكان النبي يقرع بين نسائه يخرج معهن للغزو، وهو مظنة

---

(١)رواه الشيخ الصدوق رحمه الله عن أبيه وابن الوليد معا، عن سعد والحميري معا، عن صالح بن أبي حماد والحسن بن طريف معا، عن بكر بن صالح، وحدثنا أبي وابن المتوكل وماجيلويه وأحمد بن علي بن إبراهيم وابن ناتانة والهمداني رضي الله عنهم جميعا، عن علي، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن عبد الرحمان بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاري، إن لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها ؟ قال له جابر: في أي الأوقات شئت، فخلا به أبي عليه السلام فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يدي أمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أخبرتك به أمي أن في ذلك اللوح مكتوبا، قال جابر: اشهد بالله إني دخلت على أمك فاطمة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهنئها بولادة الحسين عليه السلام فرأيت في يدها لوحا أخضر ظننت انه زمرد، ورأيت فيه كتابا أبيض شبه نور الشمس ، فقلت لها: بأبي أنت وأمي يا بنت رسول الله ما هذا اللوح ؟ فقالت: هذا اللوح أهداه الله عز وجل إلى رسوله فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرني بذلك، قال جابر: فأعطتنيه أمك فاطمة فقرأته وانتسخته، فقال أبي عليه السلام فهل لك يا جابر أن تعرضه علي ؟ قال: نعم فمشى معه أبي عليه السلام حتى انتهى إلى منزل جابر، فأخرج إلى أبي صحيفة من رق، قال جابر: فاشهد بالله إني هكذا رأيته في اللوح مكتوبا... إلى آخر الحديث الذي نقله العلامة المجلسي في بحار الأنوار ـج ٣٦ ص ١٩٥

أن يرين الرجال وإن لم يرهن الرجال!

٢/ قد يكون معنى الرواية كنائيا هو ما كشفت عنه باقي الروايات وهو أن تستتر المرأة بقدر ما يمكنها ذلك، مثلما ورد أنها أدنى ما تكون من ربها إذا لزمت قعر بيتها، فليس المطلوب بالفعل أن تلزم (قعر) البيت، دون سائر الغرف فيه، وإنما المقصود هو أن تكون في أستر المواضع.

٣/ احتمل بعضهم أن يكون السؤال والجواب غير ناظر إلى الجهة الشرعية، والحكم الإلهي، وإنما هو ناظر إلى ما يريح المرأة، وما هو خير لها (لنفسها وطبيعتها)، ويستشهد هؤلاء على ذلك بأنه لا يعقل أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو تالي الرسول في علمه، غير عارف بما هو خير للمرأة من الناحية الشرعية!! نعم ربما يتصور هذا في بعض الأصحاب دون الإمام عليه السلام، والرواية على اختلاف ألسنتها تصرح بأن الذي نقل القضية من النبي للزهراء ومنها إليه، هو أمير المؤمنين وتشير بعضها إلى أن الإمام علي أيضا لم يعرف ما هو خير للمرأة، وبعيد جدا أن يجهل أمير المؤمنين ما هو خير للمرأة من الناحية الشرعية، نعم لو فرض ذلك في الجهة الطبعية أو المزاجية، وأنه ما هو خير لها، وما الذي ترغب فيه، فلم يجب الإمام لا محذور فيه كالمحذور الموجود في عدم المعرفة بالجهة الشرعية.

ولعل الاستقراء يفيد هذا المعنى فإن المرأة مهما كانت، ترتاح إلى أن تكون في وسط جنسها غير متقيدة بقيد، ولا هي مضطرة إلى الظهور بمظهر معين، أكثر من ارتياحها عندما تكون في وسط الرجال، فالخير لها أن لا ترى رجلا، ولا الرجال يرونها.

٤/ رأى البعض[١] أنه يمكن الاستفادة منه أنه ينبغي للحكومة الإسلامية أن تجعل البرنامج الحياتي في المجتمع بحيث لا تحتاج النساء أن تختلط بالرجال، ولا الرجال يختلطون بالنساء.

---

(١)نقل عن الشيخ الجوادي الآملي في مجلة (علوم حديث) الفارسية.

أم سلمة (هند بنت أبي أمية المخزومية)

أم المؤمنين المدافعة عن أمير المؤمنين عليه السلام

توفيت بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام وعمرها تسعون عاما.

❀❀❀❀

ها هي تتذكر السنوات المنصرمات مع أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، فيزيد وجدها عليه، وتبكيه بكاء الثاكل، ومن مثل أبي سلمة؟ ثم تتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمره الله به من قول إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي هذه وعوضني خيرا منها، إلا آجره الله في مصيبته وكان قمنا أن يعو ا منها..

لكن من مثل أبي سلمة؟ وطافت بها الذكريات كشريط مصور قبل أمس: ها هو أبو سلمة خارج معها بعد أن أسلما قاصدين إلى المدينة، وقد أعد لزوجته ولابنه سلمة هودجا.وثارت ثائرة المخزوميين من بني المغيرة، وقاموا إليه بمنطق الجاهلية لو كان لها منطق مانعين من سفر المخزومية هند: هذه نفسك قد غلبتنا عليها!أرأيت صاحبتنا هذه علام تسير بها في البلاد؟ وجروا خطام البعير.

وثارت بنو عبد الأسد (قوم أبي سلمة) بنفس العقلية، واختطفوا سلمة الابن قائلين: لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبتنا.. وهكذا تجاذب الطرفان طرفي الطفل الرقيق، وكانت النتيجة خلع يده، وأخذ بني عبد الأسد إياه. وهكذا صارت العائلة المكونة من ثلاثة أعضاء في ثلاثة أطراف: الأب عبد الله في طريق المدينة مهاجرا، والأم عند أهلها المخزوميين تندب حظها، والولد عند أهل أبيه بني عبد الأسد.

ومرت الأيام عليها وهي تخرج في كل يوم إلى الأبطح وتندب حالها، حتى اكتمل لها على ذلك سنة ورآها أحد أقاربها فرق لها، وتوسط لها عند بني المغيرة قومها قائلا: ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وابنها؟

وكان أن تركوها تخرج إليه، فرد لها بنو عبد الأسد طفلها أيضا.وهيأ الله لها من يرافقها في سفرها إلى المدينة فوصلت وكانت فرحة أبي سلمة بها وبابنه كشوقها إليه لا توصف.

وابتدأت المعارك بين قريش وبين المسلمين فكانت بدر والنصر المؤزر فيها، وعاودت الكرة في أحد وكاد النصر يكرر غير أن معصية بعض المسلمين لرسول الله أدت إلى الهزيمة، وكان لأبي سلمة دور بارز في الموقفين، وقد أصيب في أحد بسهم في عضده، وظل يعالجه شهرا كاملا لكيلا يفوته شرف الجهاد في المعارك القادمة، وفعلا فقد برئ الجرح فما أن أرسل الرسول سرية إلى قطن حتى كان أبو سلمة في مقدمتها، وغابوا في تلك قرابة الشهر، ثم رجعوا وكان الجرح قد انتقض على أبي سلمة فما بقي منه إلا عدة أشهر حتى انتقل إلى خالقه في السنة الرابعة

للهجرة.وعادت للدمعة الساخنة.. لكأنّ هذه النفس فيها بقية شوائب تحتاج إلى غسل وتصفية بماء العين، عادت من جديد تلمس وطأة الألم.. هل كثير عليك أيتها المؤمنة فرحة أعوام لم تكتمل.. في أولها غصة البعد وفي آخرها شجى الموت؟

لكن.. ألم يرد في الأحاديث: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن موسى بن عمران قد ذهب يقتبس نارا فإذا به يرجع بالنبوة»؟ وأليس الله يعوض الصابر على المصيبة خيرا مما فقد؟ تُرى من يكون خيرا من أبي سلمة؟

❁❁❁❁

وذات يوم.. وكان سنها حينئذ في حدود الثلاثين من العمر، وقد انقضت عدتها فجاء رسول الله ﷺ، ولنتركها تتحدث:

لما انقضت عدتي من أبي سلمة أتاني رسول الله فكلمني بيني وبينه حجاب فخطب إلي نفسي، فقلت: أي رسول الله وما تريد إلي؟ ما أقول لك هذا إلا رغبة لك عن نفسي؛ إني امرأة قد أدبر مني سني وإني أم أيتام وأنا امرأة شديدة الغيرة، وأنت يا رسول الله تجمع النساء.

فقال رسول الله: فلا يمنعك ذلك.. أما ما ذكرت من غيرتك فيذهبها الله، وأما ما ذكرت من سنك فأنا أكبر منك سنا، وأما ما ذكرت من أيتامك فعلى الله ورسوله، فأذنت له في نفسي فتزوجني.

وبدأت حياتها بالصدق مع رسول الله في مشاعرها، واستمرت على هذا الصدق إلى آخر حياتها.

ودخلت هذا البيت النبوي، وكأنه كـان هنـاك معادلـة بـين شكرها لله وصدقها وبين عطاء الله لها، فإذا كانـت قـد أصـيبت بأبي سلمة فقد عُوضت بسيد الخلـق، وإذا كانـت كـبيرة الـسن نسبة لغيرها وذات أيتام فقد عوضـت مـن رسـول الله بـالحظوة التي جعلت بعض زوجاته تغار منها غـيرة شـديدة ومـا ذاك إلا لشدة احترامها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ها هي ترى، ويا لهول ما ترى.. أن بعـض زوجـات الـنبي لا يقمن بتقـدير الـنبي كمـا ينبغـي، ويتعـاملن معـه كـزوج مـن الأزواج، وهو من هو! ها هي ترى أن بعضهن يتظـاهرن عليـه! ويتآمرن عليه! وتميل قلوبهن عنه حتى لقـد أعلـن القـرآن ذلـك صراحة!!

وأخذت من ذلك درسا، فإن الحكيم هو من يرى خطأ غيره فيجتنبه وكان أن حلت بذلك الخلق والاحترام البالغ لرسـول الله محل الراحلة العزيزة خديجة بنت خويلد، ووجد رسول الله في حسن خلق اللاحقة ما يذكره بطيب عنصر السابقة، فبينما كان بعض نساء النبي عندما يغضبن منه لأتفه الأسباب يجبهن وجهـه الكريم بالقول: أنت الذي تزعم أنك رسول الله!! كانت أم سلمة إذا أرادت أن تكلمه في أمر تلاحظ أبلغ وسائل الأدب والكمـال، فها هي تذكر خديجة أمام النبي عندما أثـنى عليهـا صلى الله عليه وآله وسلم بأفـضل ذكر وتقول: «إنك لم تذكر من خديجة أمرا إلا وقد كانت كـذلك غير أنها مضت إلى ربها فهناها الله بـذلك وجمـع بيننـا وبينـها في جنته».. فأين هذا الكلام وكلام بعض نسائه أمامه: ما كانـت إلا عجوزا حمراء الشدقين وقد أبدلك الله خيرا منها!!

وحين وجدت بعض أصحاب النبي ﷺ يدخل في خصوصيات البيت الزوجي لرسول الله ﷺ قالت له منكرة عليه: يا ابن الخطاب قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟ وقد علق عمر على ذلك قائلا: فأخذتني أخذا كسرتني عن بعض ما كنت أجد.

الأم الثانية للزهراء بعد خديجة

يُحاط زواج علي عليه السلام بتفاصيل استثنائية لا نجدها في أي زواج آخر فإنه نقل عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي»، هذا بعدما رد من خطبها من أصحابه، فالقضية هنا إلهية ويراد لهذا الزواج الميمون أن ينتج تلك الذرية والعترة التي هي عدل القرآن والثقل الآخر الذي لو تمسكت به الأمة لن تضل.إنه البيت الذي سيعد ليكون أهله مطهرين تكوينا من قبل الله من جميع الأرجاس والأدناس.وهكذا في تفاصيل الزفاف وحرص الرسول على ذلك خطوة بخطوة.. وهذا مما يسلط ضوءا على ما قيل من زواج (بنات) النبي الأخريات، ويعزز النظرية التي يتبناها بعض محققي المؤرخين من أنهن كن ربيبات للنبي[1]، ولذا لا نجد في السير والروايات إشارة إلى أي اهتمام غير عادي من قبل النبي في أمر زواجهن.

ولقد أدركت أم سلمة بثاقب بصيرتها موقع الزهراء وعلي من النبي ﷺ، والدور المترقب منهما في خدمة الرسالة، لذلك

(١) يراجع:(بنات النبي ﷺ أم ربائبه) للمحقق السيد جعفر مرتضى العاملي.

كانت بالنسبة للزهراء أما ثانية بعد خديجة، فحرصت أي حرص على متابعة تفاصيل هذا الزواج.

فهاهو علي عليه السلام ينتظر بحياء المؤمن إذن الرسول له في إدخال فاطمة عليه، ولا أحد يتكلم، وتلاحظ أم سلمة ذلك فتدخل على رسول الله ومعها أم أيمن وبعض نسائه، وابتدأت أم سلمة قائلة: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله.. إنا قد اجتمعنا لأمر لو كانت خديجة في الأحياء لقرت عينها!

قالت أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى.وقال وأين مثل خديجة؟؟ وأخذ في الثناء عليها.

فقالت أم سلمة: فديناك بآبائنا وأمهاتنا؛ إنك لم تذكر من خديجة أمرا إلا وكانت كذلك غير أنها إلى ربها فهنأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في جنته، يا رسول الله هذا أخوك وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب يحب أن تدخل عليه زوجته. فسر رسول الله سرورا كبيرا لما ذكرت أم سلمة خديجة ذلك الذكر الجميل، ورأى فيها صورة أخرى من عناية خديجة بفاطمة.

وقال: حبا وكرامة. وأمرهن أن يصلحن شأن فاطمة في حجرة أم سلمة.. ثم تقدمت أم سلمة أمامهن بالرجز والإنشاد لما زففن فاطمة عليها السلام.

❋❋❋❋

راوية أحاديث الولاية

حرصت أم سلمة على صيانة خصوصية تلك الحياة ولذلك يقل حديثها مع كثرته عن حياة النبي الداخلية، نعم ربما

نقلت لبعض النساء إذا سألنها ما يرتبط بهن من أحكام الغسل أو الجنابة فتستشهد على ذلك بقول النبي

في المقابل اتجهت لرصد أحاديث الولاية، وبيان القيادة الصحيحة بعد النبي، والتركيز على فضائل العترة الطاهرة، ولذلك أثر عنها عدد غير قليل من أحاديث الفضائل في أهل البيت.

فهي من رواة حديث الغدير: من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وعن المساور الحميري عن أمه قالت دخلت على أم سلمة فسمعتها تقول كان رسول الله ﷺ يقول لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن[1].

ونقل عنها كثيرا وبطرق متعددة حديث الكساء، ويلاحظ المتأمل نوع عناية من قبلها رضي الله عنها في نقل الحديث، خصوصا مع ما يتضمنه من معاني العصمة الضرورية لأصحاب الكساء وتحديد أهل البيت في هذا الحديث تحديدا واضحا.. فها هي تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه فقال لها ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي والحسين والحسن فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيبري قالت وأنا أصلي في الحجرة فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ

(١) الترمذي حديث ٣٦٥١

اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله قال إنك إلى خير إنك إلى خير.. [1]

وعن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة [2].

وعندما بدأ الخط المنافق حملته لإسقاط الشرعية المتمثلة في أمير المؤمنين عليه السلام، قامت أم سلمة بدورها في حماية هذا القائد الرسالي مبينة أن عليا نفس الرسول وأن من انتمى إليه فقد انتمى إلى رسول الله، ومن عادى عليا فقد عادى الرسول فقد قال أبو عبد الله الجدلي (وكان يسكن الشام) دخلت على أم سلمة فقالت لي أيسب رسول صلى الله عليه وآله وسلم فيكم قلت معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من سب عليا فقد سبني [3] ومثل ذلك قالته لشبث بن ربعي.

وعنها أيضا روى الحاكم في المستدرك بسنده أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي لن

---

(١) مسند احمد ح٢٥٣٠٠ والترمذي ح ٣٨٠٦
(٢) سنن ابي داود ح ٣٧٣٥
(٣) مسند احمد ح ٢٥٥٢٣

يفترقا حتى يردا على الحوض.

وهكذا كانت رضي الله عنها شديدة العناية ببيان خط الإمام وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بنكران للذات تغبط عليه، ومع أنها أفضل زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد خديجة، إلا أننا نلاحظ أنها لا تحاول إظهار هذا الجانب أصلا، بينما تشيد بالإمام الحق.

❁❁❁❁

والتحق الرسول بالرفيق الأعلى بعدما أوصى أمته بالثقلين، ودعاها إلى التمسك بهما، والسير خلف علي فإنه مع الحق ولن يخرجهم من هدى إلى ضلال. وقامت قيامة قريش في حربها الثانية فأقصت نفس النبي عنوة عن موقعه الإلهي، وجرى للزهراء ما جرى فحرمت فدكا، وخطبت خطبتها المعروفة في المسجد، وخطب الخليفة بعدها خطبته المعروفة التي قال فيها: يستنصرون بالضعفة ويستعينون بالنساء مثل ثعالة شهيدُه ذنَبُه!!

فقامت أم سلمة غاضبة تقول له: ألمثل فاطمة يقال هذا؟

ودفعت أم سلمة ثمن مواقفها تلك، وحل عليها ما حل على أهل البيت من إبعاد عن الواجهة، ولكن ذلك لم يكن ليفت في عضدها ولا ليغير موقفها الذي أخذته عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا كان التغيير الحاصل بعد الرسول مباشرة قد بقي في حدود (سكت عليها المسلمون) فإن التغيير الذي حصل أيام الخليفة الثالث من تحكم الأمويين في الوضع الإسلامي وبيت

المال قد وصل حدا لم يسمح لأحد بالسكوت عليه فالسواد (العراق) أصبح بستان قريش ومحل نزهتهم، وابن مسعود أصبح صرافا لبني أمية.. حتى أن عائشة قالت ما قالت في حق الخليفة.

وهكذا اجتمع الكل على عثمان.. المنكرون عليه بحسب الموقف المبدئي الذي يصنع للمؤمن حساسية تجاه المنكر، والمنكرون عليه بحسب التطلع إلى الخلافة وأنهم سوف يكونون في رأس قائمة المرشحين للخلافة، ولكن خاب الفال هذه المرة فإذا بالناس تقبل على أمير المؤمنين عليه السلام «إقبال العوذ المطافيل تقولون البيعة البيعة، قبضت كفي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فجاذبتموها»، فـ «ما راعني إلا والناس إلي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم».

تنفس الناس هذه المرأة رائحة محمد (في حكم علي عليه السلام) وجاء عمر بن أبي سلمة إلى المسجد واستمع خطبة علي عليه السلام، ولمحه علي فقال له بعد ذلك استأذن لي على أمك، فجاء علي ومعه عمر فدخلا على أم سلمة، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أعطيني الكتاب الذي دفعه إليك رسول الله وآيته كذا وكذا، فقامت واستخرجته، ثم قالت لابنها: يا بني ألزمه فلا والله ما رأيت إماما بعد نبيك غيره[1].

«اللهم إنهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي وألّبا الناس علي فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما أبرما وأرهما المساءة فيما أمّلا

---

(١) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار ج ٢٢.

وعملا»[١].

ما أن تولى أمير المؤمنين الخلافة حتى هبت رياح الأهواء عاصفة لتقتلع هذا الحكم الرسالي، وتضامنت في ذلك المشاعر الشخصية مع الطموحات السياسية يضاف إليها الرغبات المادية، فاجتمعت ألوان الطيف ذاك، وهي المتفرقة من طلحة إلى مروان وهما الأعداء، ومن الزبير إلى يعلى بن أمية (صاحب الجمل عسكر).. وكان لا بد لهؤلاء من غطاء شرعية، فلا يصدق أحد أن يكون هؤلاء قد قاموا ضد علي عليه السلام لأجل الإسلام، فمن أولى بالإسلام منه؟؟

وقد تصورت أم المؤمنين عائشة أنها تستطيع حل المشكلة في حدودها تبعا لمكانتها الاجتماعية ولم يكن الخارجون يريدون حل المشكلة وإنما كانوا (يريدون الغدرة) وقد غفلت عن ذلك.

وبناء على التصور السابق فقد وهكذا جاءت أم المؤمنين عائشة إلى أم المؤمنين أم سلمة تستميلها لمشروعها السابق.

فقالت لها: يا بنت أبي أمية أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت كبيرة أمهات المؤمنين و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم لنا من بيتك و كان جبريل أكثر ما يكون في منزلك!!

فقالت أم سلمة: لأمر ما قلت هذه المقالة؟!

فقالت عائشة: إن عبد الله (تعني بن الزبير) أخبرني أن القوم

---

(١) عبده، الشيخ محمد، نهج البلاغة

استتابوا عثمان فلما تـاب قتلـوه صـائما في شـهر حـرام و قـد عزمت على الخروج إلى البصرة و معي الزبير و طلحة فاخرجي معنا لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا.

فقالت أم سلمة: انك كنت بالأمس تحرضين على عثمـان و تقولين فيه أخبث القول و ما كان اسمه عنـدك إلا نعـثلا و انـك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفأ ذكرك؟

قالت: نعم

قالت:أتذكرين يوم أقبل (الرسول) و نحن معه حتى إذا هـبط من قديـد ذات الـشمال خـلا بعلـي يناجيـه فأطـال فـأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت باكية.. فقلت:ما شأنك فقلت إني هجمت عليهما و هما يتناجيان فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله إلا يوم مـن تـسعة أيام أفما تدعني يا بن أبي طالب و يـومي فاقبـل رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي و هو غـضبان محمـر الوجـه فقـال ارجعـي وراءك و الله لا يبغضه احد من أهل بيتي و لا من غيرهم مـن النـاس إلا و هـو خارج من الإيمان فرجعت نادمة ساخطة؟

قالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

قالت: و أذكرك أيضا كنت أنا و أنت مع رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أنت تغسلين رأسه و أنا أحيس له حيسا وكـان الحـيس يعجبـه فرفع رأسه وقال يا ليت شعري أيـتكن صـاحبة الجمـل الأذنـب تنبحها كلاب الحوأب فتكون ناكبة عن الـصراط فرفعـت يـدي من الحيس فقلت أعوذ بالله وبرسوله من ذلـك ثم ضـرب علـى ظهرك و قال إياك أن تكونيهـا ثم قـال يـا بنـت أبي أميـة إيـاك أن

تكونيها يا حميراء أما أنا فقد أنذرتك!!

قالت عائشة نعم أذكر هذا.

قالت: و أذكرك أيضاً كنت أنا و أنت مع رسول الله ﷺ في سفر له و كان علي يتعاهد نعلي رسول الله ﷺ فيخصفها و يتعاهد أثوابه فيغسلها فنقبت له نعل فأخذها يومئذ يخصفها و قعد في ظل سمرة و جاء أبوك و معه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب و دخلا يحادثانه فيما أراد ثم قالا يا رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا فقال لهما: أما إني قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران فسكتا ثم خرجا.

فلما خرجنا إلى رسول الله ﷺ قلتِ له: ـ وكنتِ أجرأ عليه منا ـ من كنت يا رسول الله مستخلفا عليهم فقال: خاصف النعل فنظرنا فلم نر أحدا إلا عليا!

فقلت: يا رسول الله ما أرى إلا عليا! فقال: هو ذاك فقالت عائشة نعم أذكر ذلك

فقالت: فأي خروج تخرجين بعد هذا؟

فقالت إنما اخرج للإصلاح بين الناس و أرجو فيه الأجر إن شاء الله.

فقالت: أنت و رأيك فانصرفت عائشة عنها[١]

و كتبت أم سلمة بما قالت و قيل لها إلى علي عليه السلام و قد ذكر أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه المصنف في غريب الحديث في باب أم سلمة على ما أورده عليك قال: و من الكلام المشهور الذي قيل إن أم سلمة رحمها الله كتبت به إلى عائشة إنك جنة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أمته وان الحجاب دونك لمضروب على حرمته و قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه و سكن عقيراك فلا تصحريها لو أذكرتك قولة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرفينها لنهشت بها نهش الرقشاء المطرقة ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو لقيك ناصة قلوص قعودك من منهل إلى منهل قد تركت عهيداه و هتكت ستره؟ إن عمود الدين لا يقوم بالنساء وصدعه لا يرأب بهن. حماديات النساء خفض الأصوات وخفر الأعراض اجعلي قاعدة البيت قبرك حتى تلقينه وأنت على ذلك.

فقالت عائشة: ما أعرفني بنصحك و أقبلني لوعظك و ليس الأمر حيث تذهبين ما أنا بعمية عن رأيك فان أقم ففي غير حرج و إن أخرج ففي إصلاح بين فئتين من المسلمين[٢].

ثم إن أم سلمة كتبت لأمير المؤمنين بما جرى بينها وبين عائشة، وما عزم عليه القوم، واتخذت الموقف الشرعي الذي يمليه

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج٦ ص٢١٨ وقد ذكر شطرا منه جار الله الزمخشري في الفايق في غريب الحديث، وابن قتيبة.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج٦ ص٢١٨.

عليهــا موقعهــا الــديني، فقــدمت ابنــها جنــديا في جــيش أمــير المؤمنين عليه السلام، والناظر في رسـالتها يـدرك مقـدار الـوعي الـذي كانت تشتمل عليه هذه المرأة الرسالية.فقد روى هشام بن محمـد الكلبي في كتاب الجمل إن أم سلمة كتبـت إلى علـي عليه السلام مـن مكة: أما بعد فان طلحة و الـزبير و أشـياعهم أشـياع الـضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة و معهم عبد الله بن عـامر بن كريز ويذكرون أن عثمان قتل مظلوما و أنهم يطلبون بدمـه و الله كافيهم بحوله و قوته و لو لا ما نهانـا الله عنـه مـن الخـروج و أمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخـروج إليـك و النـصرة لـك و لكني باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوص به يا أمير المؤمنين خيرا.

وكرت سبحة التمرد فئة تتلو أخـرى، فقـد جـاء النـاكثون وبعد الناكثين قـسط آخـرون، وبعـدهم جـاء المـارقون كـأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِـرَةُ نَجْعَلُهَـا لِلَّـذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بلى لقـد سمعوها ووعوها ولكن حليت الدنيا في أعينهم و غرهم زخرفها وزبرجها.

وقضى أمير المؤمنين شهيدا في محـراب عبادتـه، وهـل كـان قمينا بغير الشهادة والمحراب؟ وعاد بنو أمية وتغلبوا علـى الأمـة وقاموا ينزون على منبر رسول الله، فإذا بطرداء رسول الله زعمـاء المسلمين، وإذا بلعنائه يـصبحون المقـربين، ويأخـذون مـا كـان بينهم وبين الأنصار والمدينة الطيبة من ثارات قديمة..

وأرسل معاوية بن أبي سفيان بسر بـن أرطـاة في ثلاثـة آلاف

حتى قدم المدينة.. وأرسل إلى بني سلمة والله ما لكم عندي أمان حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، فانطلق جابر لأم سلمة واستشارها في ذلك، فقالت له: يا بني اذهب فبايع، احقن دمك ودماء قومك فإني قد أمرت ابن أخي أن يبايع وإني أعلم أنها بيعة ضلالة.

وفاضت دما عبيطا

الانهيار الذي ابتدأ في زمن معاوية استمر في زمن يزيد كأبشع ما يكون، وهل تلد الحية إلا أفعوانا؟ ها هم قد احتضنوا خط الانحراف فأنتج وكما قالت الزهراء عليها السلام مستشرفة صورة المستقبل (دما عبيطا وذعافا ممقرا مبيدا، هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون).

ثلاث من السنين طبعت آثارها السوداء على جبين الأمة، ففي الأولى قتل السبط سيد شباب أهل الجنة، وفي الثانية وقعة الحرة وفي الثالثة هدم الكعبة، ولو بقي أكثر من ذلك لكانت الكارثة على كل الوجود الإسلامي.

كان قتل الإمام الحسين عليه السلام بتلك الصورة المفجعة عنوانا لما يجري على الإسلام من انتهاك على يد الأمويين، ومن ذلك العنوان كان يمكن قراءة الرسالة التي تحته.لهذا لم يكن غريبا أن تجلس أم سلمة ذات يوم فزعة مرعوبة وقد رأت رسول الله في المنام أشعث أغبر باكي العين، ولما سألته أخبرها ببلوغ الكارثة مداها، وعلامة ذلك أن تنظر إلى القارورة التي أعطاها لها في

حياته، فإنها تفيض دما عبيطا [١].

لقد عادت بالذاكرة إلى أكثر من نصف قرن من الزمان عندما كان رسول الله ذات يوم في بيتها، وقال لها: لا يدخلن علي أحد فانتظرت فدخل الحسين عليه السلام، وحينئذ سمعت نشيج رسول الله، تقول أم سلمة: فاطلعت فإذا حسين في حجره والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل.. فقال: إن جبريل عليه السلام كان معنا في البيت فقال: تحبه؟ قلت: أما من الدنيا فنعم، فقال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء.فتناول جبريل من تربتها فأراها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما أحيط بحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء.فقال: صدق الله ورسوله أرض كرب وبلاء[٢].

وفي حديث آخر عنها أيضا: أن رسول الله قال لها: يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دما فاعلمي أن ابني قد قتل فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها في كل يوم وتقول: إن يوما تحولين دما ليوم عظيم[٣].

أيها الموت عجل.. فما طعم الحياة؟ ذهب الذين أحبهم وبقيت فيمن لا أحبه.ولم تكمل أم سلمة سنتها تلك بعد أن فارقت روح حسين حياتها...

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ٢٥٣.

(٢) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين عن معجم الطبراني،ح ٥١ و ٥٣.

(٣) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين عن معجم الطبراني،ح ٥١ و ٥٣.

من المجلوبات إلى معاوية

أروى بنت الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنها

❁❁❁❁

الزرقاء بنت عدي الهمدانية رضي الله عنها

❁❁❁❁

كان من الطبيعي أن تصل الأمور إلى هذه النتيجة، وأن تذوق الأمة نتيجة كسبها، عندما تخاذلت وتوانت عن نصرة حقها، فقد أنبأهم أمير المؤمنين علي عليه السلام بأن عدوهم سوف يظهر عليهم «أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس لأنهم أولى بالحق منكم ولكن لإسراعهم إلى باطلهم وإبطائكم عن حقي، ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها وأصبحت أخاف ظلم رعيتي، استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا وأسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا. شهود كغياب وعبيد كأرباب.. أيها القوم الشاهدة أبدانهم الغائبة عنهم عقولهم المختلفة أهواؤهم المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه».

انتهت معركة صفين بخدعة انطلت على طوال اللحى وقصيري العقول (الخوارج)، فخدعوا بشعار حماية القرآن

وحكم القرآن، بينما كان بينهم القرآن الناطق يدعوهم في أخراهم، ولكن لا حياة لمن تنادي، فإذا بمن يفترض أن يكونوا أنصاره قد شهروا السيف في وجهه إن لم يقبل حكم القرآن!! ومتى لم يكن «القرآن مع علي وعلي مع القرآن»، لكنها الفطرة المنكوسة!!

ها هم أصحاب المظاهر الدينية الفارغة من المحتوى، المتماوتون على الخضاب، والمتهالكون على قصير الثياب، الذين يلخصون برنامج الدين في سواك في الفم، ولحية في الوجه خالية من الترتيب، الحافظون لحروف القرآن والمضيعون حدوده، الذين يظنون أن الجنة لم تخلق لسواهم! وأن الحور العين لا تقبل بغيرهم.. فالأمة كلها ضالة إلا من اتبعهم، وعلي بن أبي طالب لا يفهم قدر ما يفهمون ولا يحرص على القرآن قدر ما يفعلون!!

وقبل علي راغما مهزلة التحكيم، وعاد من صفين إلى الكوفة يجر ألمه، فقد انتهى الأمر إلى أن يقرر أمر المسلمين ومصيرهم بين مكر عمروي وسذاجة أشعرية.. وهكذا خلع الثاني إمامه وأثبت الأول حاكمه، وقد كانا يسعيان لما ذهبا إليه.

ونجم قرن الشيطان الخارجي، وغال علياً عليه السلام في محراب عبادته، وقرت عيون الشامتين، فسجد من سجد شكرا (لله بزعمه).

وها هو معاوية بن أبي سفيان، يتربع على كرسي الخلافة!! ويصبح أميرا للمؤمنين..؟ وما الذي ينقصه بزعمه عن غيره؟ وبدأ في تنفيذ برنامجه، للقضاء على النهج العلوي، والفكر

الإمامي، فقد بعث في أصقاع البلاد المسلمة نسخة واحـدة بـأن يشتم أمير المؤمنين عليه السلام على كل منـبر في كـل جمعـة ومـن أبى ذلك يعزل كما فعل بسعيد بن العاص عندما امتنع عـن اللعـن فقد عزله عن المدينة وجعل مكانه مروان بن الحكم.

ثم بدأ بتتبع شيعة أمير المؤمنين عليه السلام عامتـهم وخاصـتهم، فأما العامة فقد أوذوا في أرزاقهم ومعاشهم، فقـد أرسـل لولاتـه أنه: من قامت عليه البينة أنـه يحـب أبـا تـراب فـاقطعوا عطـاءه ورزقه، وامحوا اسمه من الديوان وأن لا تقبل لهم شهادة في المحـاكم والقضاء.فلقي شيعة أهل البيت من الأمرين عنتا كبيرا.

وأما خاصتهم فقد أحصاهم، ثم بدأ (خال المؤمنين!!) ينفـذ في المؤمنين مخطط التصفية والقتل، فاعتقل محمد بـن أبي حذيفـة وأبقاه في سجنه إلى توفي رضي الله عنه ، وسجن صعصعة بـن صـوحان العبدي مدة ثم نفاه إلى البحـرين حـتى مـات فيهـا، وأمـر بقتـل حجر بن عدي الكندي وأصحابه (المصلين العابدين الذي كـانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائـم.. قتلتهم ظلما وعدوانا من بعدما كنت أعطيتـهم الأيمـان المغلظـة والمواثيق المؤكدة أن لا تأخذهم بحـدث كـان بينـك وبينـهم ولا بإحنة تجدها في نفسك عليهم..)[1].

ولم يقتصر في سـعيه ذلـك علـى الرجـال، بـل عـمّ النـساء بفعله، ولولا أن قتل النساء كان عارا عند العرب لرأيـت رؤوس القانتات على الأنطاع مقطوفة، ولكنه لم يترك أن يـستدعيهن إلى

(١) من رسالة الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية

مجلس حكمه من الكوفة على بعد المسافة، لمحاسبتهن على ما قلنه أو فعلنه من نصرة لأمير المؤمنين عليه السلام.

وبالرغم من أن الموقف كان يقتضي منهن التنازل أو التراجع، حيث هن في موقف ضعف وانكسار وهو في موقف قوة واقتدار ظاهرة، لكنها قوة النفس وصلابة العقيدة، فما تراجعن ولا تنصلن من مقالاتهن، بل أكدنها، وثبتن عليها.والقارئ لما جرى بينهن وبين معاوية ومن كان في مجلسه، يعتقد بيقين أن عنوان الرجولة لا يعطي بذاتها لصاحبه امتيازا ما لم يصدقه بعمل يدلل على استحقاقه لذلك العنوان، كما أن الأنوثة ليست عارا يلحق حامله، إذا ما أحسن العمل، ف ﴿مَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾[(١)].إننا نجد الفرق الهائل بين مثل هؤلاء المؤمنات الصادقات في مواقفهن، وبين مثل بعض أولئك الرجال الذين يمثلهم (الحتات بن يزيد) الذي دخل على معاوية فلما أعطى من كان معه أموالا كثيرة، وأعطاه أقل منهم، سخط وسأله فقال له معاوية: إني اشتريت منهم دينهم ووكلتك إلى دينك.. فقال له: ومني فاشترِ؟؟.هل تضع هذا (الرجل الفحل!!) في ميزان واحد مع تلك النساء اللبوءات؟

ولو كان النساء كمن عرفنا ... لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فضل للهلال

فقد نقل في العقد الفريد، استدعاء معاوية إياهن، ووفودهن

---

(١) سورة النساء آية/١٢٤

عليه، وما دار بينه وبينهم من حوار يبين كم كان لهن من دور هام في التعبئة المعنوية وفي إلهاب حماس أفراد جيش أمير المؤمنين عليه السلام في صفين. وفي كسر الكبرياء السلطوي للأمويين حتى بعد أن سيطروا على الحكم

هذه أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ابنة عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانت قد طعن بها السن لكنها عندما دخلت على معاوية وعنده عمرو بن العاص وعدد من وزرائه، لم تتردد أن جبهته بالحق الذي تعرفه، وبينت له خطأ أسلافه، وإصراره على الخطأ بعدهم عندما نازع أمير المؤمنين ما هو أهله، فهلم معي نرَ عنفوان الوعي المتمرد على آثار العمر والشيخوخة، لنقرأ ما ذكره المؤرخون عن ذلك اللقاء:

لما دخلت أروى بنت الحارث على معاوية، فلما رآها قال: مرحبا بك وأهلا يا عمة، فكيف كنت بعدنا؟

فقالت: كيف أنت يا ابن أخي لقد كفرت بعدي بالنعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الإسلام ولقد كفرتم بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأتعس الله منكم الجدود وأصعر منكم الخدود حتى رد الله الحق إلى أهله وكانت كلمة الله هي العليا ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو المنصور على من ناوأه ولو كره المشركون فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظا ونصيبا وقدرا حتى قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مغفورا ذنبه مرفوعا درجته شريفا عند الله مرضيا فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وصار ابن عم سيد المرسلين

فيكم نبينا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول يا ابن أم: إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ولم يجمع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنا شمل ولم يسهل لنا وعر وغايتنا الجنة وغايتكم النار.

ولعل الناظر يلاحظ أنها لا تكتفي بإدانة فعل معاوية، ولا تكتفي بعدم الاعتراف به فحسب، بل تحتج على غيره أيضا ممن نقدم على أمير المؤمنين محتجا بقرابة الرسول والاختصاص به، بينما كان علي عليه السلام من الرسول بمنزلة هارون من موسى.. ثم لا تنسى أن تجتاز الظرف الحاضر لترى ببصيرة المؤمنين العاقبة المنتظرة للمتقين، وللأشقياء عندما تقول: غايتنا الجنة وغايتكم النار.

وهنا انفعل عمرو بن العاص انفعالا لم يقدر على إخفائه فقال لها: كفي أيتها العجوز الضالة، واقصري عن قولك مع ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك !

وبهدوء الواثق من كلامه، ونفاذ بصيرته قالت أروى: يا ابن اللخناء النابغة أتكلمني أربع على ظلعك واعنَ بشان نفسك فو الله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصبها ولقد ادعاك ستة من قريش كله يزعم أنه أبوك ولقد رأيت أمك أيام منى بمكة مع كل عبد عاهر (فاجر) فأتم بهم فإنك بهم أشبه.

وكأنما ألقمته كوم حجر، فانحجر في مكانه ولم يتكلم.

فتكلم مروان بن الحكم قائلا: أيتها العجوز الضالة ساخ بصرك مع ذهاب عقلك فلا يجوز شهادتك!

قالت يا بني أتتكلم فو الله لأنت إلى سفيان بن الحارث بن

كلدة أشبه منك بالحكم وإنك لشبهه في زرقة عينيك وحمرة شعرك مع قصر قامته وظاهر دمامته ولقد رأيت الحكم ماد القامة ظاهر الأدمة سبط الشعر وما بينكما قرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الأتان المقرب فاسأل أمك عما ذكرت لك فإنها تخبرك بشان أبيك إن صدقت.

فساد صمت ثقيل في المجلس، ورأى الحاضرون سيفا هاشميا مسلولا من لسانها، تنبو عنه السيوف، وتخنع له الرقاب، فختمت بمعاوية قائلة: والله ما جرّأ علي هؤلاء غيرك، وإن أمك القائلة في قتل حمزة:

نحن جزيناكم بيوم بدر

والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان لي عن عتبة من صبر

أبي وغمي وأخي وصهري

فشكر وحشي علي دهري

حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها بنت عمي وهي تقول:

خزيتِ في بدر وغير بدر يا بنت جبار عظيم الكفر

صبحك الله قبيل الفجر بالهاشميين الطوال الزهر

حمزة ليثي وعلي صقري

فقال معاوية لمروان وعمرو ويلكما أنتما عرضتماني لها وأسمعتماني ما أكره ثم قال لها لكي ينهي المواجهة التي لا يستطيع الثبات فيها، وليس من أهل مضمارها: عفا الله عما سلف يا عمة.. هاتي حاجتك!

❀❀❀❀

وموقف الزرقاء بنت عدي الهمدانية، في حرب صفين حيث القلوب تطير ولا يثبت إلا من كانت روحه المعنوية في الدرجة العليا، كانت الزرقاء في موقف المشجع الواعي والحافز لهمم أنصار أمير المؤمنين عليه السلام، حتى لقد قال لها معاوية إنها شريكة في كل دم أريق من أصحابه، ومسؤولة عن كل رقبة ندرت عن كواهلهم فاستبشرت وتمنت ذلك!! هذا مع أنها كانت في دولة قد أفل فيها نجم الحق وهي في مجلس عدوها يوم أمس.

فقد ذكر المؤرخون أنه قد تذاكر معاوية مع عمرو بن العاص وعتبة والوليد موقف الزرقاء في صفين فاستشارهم في أمرها فأشاروا عليه بقتلها!! فلم يستحسن منهم ذلك، وقال أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه أنه قتل امرأة بعدما ظفر بها.. المهم أنه كتب إلى عامله بالكوفة أن يحمل إليه الزرقاء مع بعض محارمها، ويمهد لها وطاءا لينا، وأن يوسع لها في النفقة استمالة لها، ولكي يكون صاحب اليد الطولى عليها..

فلما وصلت إلى الشام، ودخلت على معاوية قال لها: مرحبا وأهلا، قدمتِ خير مقدم قدمه وافد.. كيف حالك؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين: أدام الله لك النعمة!

ثم سألها: أتدرين لَمَ بعثت إليك؟

قالت: أنّى لي بعلم ما لم أعلم؟

فقال: ألست الراكبة الجمل الأحمر والواقفة بين الصفين يوم صفين تحضين علَى القتال؟ وتوقدين الحرب؟ فما حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين مات الرأس، وبُتر الذنب، ولم يعد ما ذهب والدهر ذو غِير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر.. وكأنما قالت هذه الكلمات العامة لإنهاء المحاورة.. لكن معاوية تصور أن هذا ضعف منها، فأراد أن يستخرج ما عندها، ويستثمر الحال تلك، فقال لها: صدقت.. أتحفظين كلامك يومئذ؟.

فقالت: لا والله لا أحفظه، ولقد أُنسيته

قال: لكني أحفظه، لله أبوك حين تقولين: أيها الناس ارعووا وارجعوا، إنكم أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجة، فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء لا تسمع لناعقها ولا تنساق لقائدها، إن المصباح لا يضيء في الشمس ولا تنير الكواكب مع القمر، ولا يقطع الحديدَ إلا الحديد، ألا من استرشد أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه.أيها الناس إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبرا يا معشر المهاجرين والأنصار على الغصص فكأن قد اندمل شعب الشتات، والتأمت كلمة العدل، ودمغ الحقُّ باطله فلا يجهلن أحد فيقول كيف العدل وأنّى؟ ليقض الله أمرا كان مفعولا. ألا وإن خضاب النساء الحنّاء وخضاب الرجال الدماء، ولهذا اليوم ما بعده

والصبر خيرٌ في الأمور عواقبا.

إيهاً في الحرب قدما غير ناكصين ولا متشاكسين..

ثم قال لها: والله يا زرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه!!

فقالت: أحسن الله بشارتك فمثلك من بشّر بخير وسر جليسه!

قال: أو يسرك ذلك؟ قالت: نعم والله، لقد سُررت بالخبر، فأنّى لي بتصديق الفعل.

فضحك معاوية، وقال: لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته.. اذكري حاجتك.

قالت: يا أمير المؤمنين آليت على نفسي ألاّ أسأل أميرا أعنت عليه أبدا..

سفانة بنت حاتم الطائي رضي الله عنها

«يا محمد: أصاب الله ببركَ مواقعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة قوم إلا جعلك سبباً لردها».

❁❁❁❁

كيف تتعامل المرأة مع المشاكل الحادثة على مجتمعها وقومها؟

تنقسم النساء في ذلك إلى أقسام: فقسم منهن لا يرى لنفسه أي دخل أو شأن في ما يطرأ من مشاكل وقضايا عامة.. وهذا القسم يمارس السلبية الكاملة حتى على مستوى الاهتمام بالشأن العام، فضلا عن الممارسة العملية.فماذا يعنيها أن تكون هذه الفئة غالبة وتلك مغلوبة؟ هذا لا يشغل أي حيز من تفكيرها إنها تابعة في كل شيء: تابعة في دينها ودنياها، في فكرها وعملها، وفي كل أمورها لأبيها قبل الزواج ولزوجها بعده.. فماذا ينفعها أن تفكر أو أن تهتم.. مادام غيرها هو الذي يقرر لها طريقة حياتها؟ فضلا عن الحياة الاجتماعية.

وقسم آخر من النساء وهو أقل من الفئة السابقة، ترى أنها أيضا قد أنعم الله عليها بعقل، وأمرها بأن تفكر وأن تتدبر وتتأمل، وتدرس أحوال الأمم السابقة، وأن الخطابات القرآنية

الآمرة بالتفكر والتأمل والنظر تشملها كما الرجل تماما.. فعليها إذن أن تهتم وأن تفكر.خصوصا أن ما يجري في المجتمع سوف يؤثر بشكل أو بآخر عليها مباشرة، فانتشار الصلاح والفضيلة في المجتمع يعينها على ذلك، كما أن اندلاع نار الفساد والانحراف يمكن أن تأتي على بيتها وأولادها.. إن اهتمامها بالشأن العام يعني اهتمامها أيضا بشأن عائلتها وأولادها حيث لا يمكن عزل التأثير الخارجي عن تربية الأولاد..

ولكن يبقى حدود هذا الدور هو في الاهتمام والتفكير والتأمل، وبمنظور رعاية الوضع الخاص في العائلة من دون أن تقوم هذه الفئة بمحاولة للتأثير في هذا الشأن العام، بنحو من أنحاء التأثير.

وقسم من النساء وهو الأقل بعد طي مرحلة التفكير والتأمل وتكوين النظرية، تجد أن من اللازم عليها أن تقوم بعمل ما في ضمن ما تقدر عليه وما تسمح به الظروف المحيطة من ثقافة دينية ووضع اجتماعي وتسعى إلى تغيير الفساد، وإصلاح الوضع.وهذه الفئة لا بد أن تجتاز (بحارا) من التشكيك والأوضاع غير المناسبة، لحراجة المهمة التي تقوم بها، إذ يتشابك فيها الأمر الديني الصحيح مع الأمر الاجتماعي غير الصحيح، والنية الحسنة بالتثبيط السيئ، وهكذا.. ونظرا لخطورة هذا الدور وحراجة الموقف تنسحب الكثيرات منه، مما يجعل الوضع الاجتماعي للنساء في المجتمعات الإسلامية بالغ السوء فالمستقيمات القادرات على الهداية والإرشاد والتغيير منسحبات عن الفعل الاجتماعي المؤثر في صفوف النساء، يحدوهن في ذلك

تصورات غير تامة عن المفاهيم الدينية العالية، وتشجيع من بعض الرجال على الانسحاب.. ويبقى الميدان لغير المستقيمات لكي يمارسن ما يحلو لهن من إفساد وتخريب.

بينما نحن نلاحظ بعض الصور المؤثرة التي كان لها نتائج باهرة عندما قامت بعض النساء بدورهن في الشأن العام على مستوى قومها ومجتمعها..

سفانة بنت حاتم الطائي، امرأة استطاعت بشجاعتها وهمتها وبمعرفتها أن تنقذ قومها ونفسها وأن تكون سببا في إيمان أخيها حتى بلغ ما بلغ.. فكيف حصل ذلك؟

كما الضوء المنبسط على الأفق فجرا أحاطت خيول المسلمين في الفجر بحي طي، وأحكمت ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۞ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ الطوق على ذلك الحي بعد أن ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ وكان على الخيل صاحب السورة علي بن أبي طالب.. فما هي إلا برهة حتى أسر الرجال والنساء، وسيق الجميع إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لما أدخل أسارى طي إلى المدينة وكانت سفانة بينهم، أخذ الحاضرون بجمالها وحسنها، حتى إذا تكلمت بذلك الكلام الفصيح، أنستهم عذوبة كلامها، جمالها وشكلها. فقد جعلن في مكان منعزل قرب باب مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أشار إليها علي بن أبي طالب أن تُكلم النبي [1].

فقامت برباطة جأش مع ما يفرضه حال الأسر على الرجل

(١) الإصابة ٨/١٨٠

فضلا عن المرأة من الضعف وقالت: أي محمد، مات الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي الأعداء، أو أحياء العرب، فإني ابنة سيد قوم، وان أبي كان يحب مكارم الأخلاق وكان يطعم الجائع ويفك العاني ويكسو العاري، وما أتاه طالب حاجة إلا ورده بها.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، ثم قال النبي: أطلقوها كرامة لأبيها.

لم تكن الشجاعة والبلاغة توأما يتيما لدى سفانة، بل كان فيها إضافة إلى ذلك النجدة والشهامة التي تشمل عموم قومها، بحيث أنها لم تكن لتقبل بأن يطلق سراحها وتنجو بنفسها بينما يبقى أبناء قومها في الأسر فقالت: أنا ومن معي.

قال النبي: أطلقوا من معها كرامة لها.ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: ارحموا ثلاثا، وحق لهم أن يُرحموا: عزيزا ذل من بعد عزه وغنيا افتقر من بعد غناه، وعالما ضاع ما بين الجهال.

ثم قالت سفانة: يا رسول الله أتأذن لي بالدعاء لك؟

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: نعم.

فقالت: أصاب الله ببرك مواقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة قوم إلا جعلك سببا لردها، قال النبي: آمين.

ثم أمر النبي لها بإبل وغنم سدت ما بين الجبلين فعجبت من ذلك وقالت: يا رسول الله هذا عطاء من لا يخاف الفقر قال: هكذا أدبني ربي!

ثم قالت: أتأذن لي بالذهاب إلى منازلي؟

قال النبي: لا، أنت في ضيافتي إلى أن يأتي من بني عمومتك من تثقين به فمكثت في ضيافة النبي إلى أن أقبلت ذات يوم وقالت: يا رسول الله أقبل من بني عمومتي من أثق به، فأمر النبي أن يهيئوا لها هودجا جعل غشاءه خزا مبطنا وسيرها النبي مع بني عمومتها.

❁❁❁❁

كان عدي بن حاتم أخ سفانة الذي كان يتعبد بالنصرانية وهو سيد قومه، قد هرب عندما علم بقرب هجوم خيل المسلمين، وغادر منطقته إلى دومة الجندل الخاضعة للروم سياسيا.وبقي هناك منتظرا للنتائج بينما قامت أخته بذلك الموقف الشجاع فخلصت قومها وعادت محملة بهدايا رسول الله ﷺ، وسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن كلميه، فقيل علي بن أبي طالب[1] ثم عطفت عنان سفرها إلى حيث ذهب أخوها.

يقول عدي: فو الله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إلي تؤمنا. فقلت: ابنة حاتم!! فإذا هي هي. فلما وقفت علي انسحلت تقول: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بنية والدك وعورته؟ قلت: يا أخية لا تقولي إلا خيرا فو الله ما لي عذر لقد صنعت ما ذكرت!

ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها: وكانت امرأة حازمة ماذا

(١) تاريخ الطبري ١/ ١٨٦

ترين في أمر هذا الرجل؟

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعا فان يكن الرجل نبيا فالسابق إليه له فضيلة وإن يكن ملكا فلن تذل في عز اليمن وأنت أنت!!

قلت: والله إن هذا للرأي.

كان نتيجة رؤية سفانة لخلق رسول الله ونجاة أهلها بفعل موقفها، وإكرام الرسول لهم كرامة لها، أن أشارت على أخيها بالعودة إلى المدينة، والاطلاع على الأمور عن قرب، فما أكثر العداوات القائمة على غير أساس، وليس لها من سبب غير سوء الفهم والبعد عن الحوار، بينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة لعدي أشد الناس عداوة في زعمه وكان يكرهه أشد ما يكره أحد أحدا، فإذا يصبح بعد اللقاء والمعرفة: المفدى بالنفس والأهل والمال.. وهكذا كثير من النزاعات.

يقول عدي: فخرجت حتى أقدم على رسول الله المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه، فقال من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم! فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانطلق بي إلى بيته فو الله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها.. فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك!! ثم مضى رسول الله حتى دخل بيته فتناول وسادة من أدم محشوة ليفا فقذفها إلي فقال لي: اجلس على هذه. قلت: لا بل أنت فاجلس عليها! قال: لا بل أنت! فجلست وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأرض. قلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك.

ثم قال: يا عدي بن حاتم أسلم تسلم!

قلت: إن لي دينا!

قال: أنا أعلم بدينك منك!

قلت أنت أعلم بديني مني؟

قال نعم. نعم.. ثم قال: ألست ترأس قومك؟ قلت: بلى. قال: ألست ركوسيا[1] ألست تأكل المرباع؟

قلت: بلى قال فان ذلك لا يحل في دينك! قلت أجل والله وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل

❋❋❋❋

أسلم عدي بن حاتم كما أسلمت أخته سفانة، وجرى ما جرى بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولاحظ عدي كيف كانت الأحداث تجري، ومواقف كل طرف ونظر إليها نظر المتأمل.. كيف يجري كل هذا؟ بعد ما كان من رسول الله في أمر الناس بإتباع علي وأهل بيته عليهم السلام، وكيف يعمل الحاكمون ما يعملون بعد (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)[2]؟ أين ذهبت (البخبخة)؟ وأين صارت (أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)؟

---

(١) الركوسية دين بين النصارى والصابئة القاموس وغيره

(٢) كان عدي بن حاتم من رواة حديث الثقلين وحديث الغدير.. إضافة إلى غيرهما مما سمعه من حديث الرسول ﷺ في علي عليه السلام.

ها هو يرى بطل الأبطال؟ و قاتل مرحب أسد الله وأسد رسوله ولكن على غير الصورة النمطية التي يعرفها عنه، لقد صار مجرورا بالحبل بعدما كان منصوبا بالنص وساكنا عن النهضة بعدما كان مرفوعا بنصر الرسول! يقول عدي:

ما رحمت أحدا رحمتي عليا حين أتى به ملببا فقيل له بايع، قال: فان لم أفعل؟ قالوا إذاً نقتلك، قال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسول الله! فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم اشهد![1].

هذا الموقف جعله يتفانى في حب علي والانتماء إليه، فإذا كان الناس يقتتلون على الإمرة والرئاسة، فهذا علي عليه السلام يصبر عن حقه ولو كان (في العين قذى وفي الحلق شجى) من أجل مصلحة الإسلام، (فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدما تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب)، وهنا لا نجد لسفانة ذكرا في المصادر التاريخية إلا أننا نعتقد أنها بعدما رأت من أمير المؤمنين عليه السلام ما رأت حيث كان الطريق إلى نجاتها ونجاة قومها على المستويين من السبي، ونجاتهم بالإسلام، بعدما أشار إليها متكررا أن تكلم النبي صلى الله عليه وآله، قد قصت هذا الأمر على عدي حين ذكر الحادثة ومهدت أرضية انتمائه لأمير المؤمنين حتى إذا جاء ورأى فـ (لا أثر بعد عيان).وعُد من السابقين الأولين إلى أمير المؤمنين

(١) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار ج٨٢ ص٣٩٣.

لكن عديا واصل مشواره مع أمير المؤمنين عليه السلام وشارك في معاركه كلها، وفقئت عينه في حرب الجمل واستشهد أولاده الثلاثة في حروب أمير المؤمنين، ثم كان له الحظ الأوفى في نصر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بعد شهادة أبيه، وفي حشد الناس للسير خلف قيادة الإمام الحسن بعد أن استنهضهم لقتال معاوية فسكتوا وما تكلم منهم أحد ولا أجاب بحرف.

فلما رأى ذلك عدي قال: أنا ابن حاتم سبحان الله، ما أقبح هذا المقام؟ ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم أين خطباء مضر؟ أين المسلمون؟ أين الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها.ثم استقبل الإمام الحسن بوجهه فقال: أصاب الله بك المراشد، وجنبك المكاره ووفقك لما يحمد ورده وصدره فقد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى أمرك وسمعنا منك وأطعناك فيما قلت وما رأيت وهذا وجهي إلى معسكري فمن أحب أن يوافيني فليوافي.

ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها ومضى إلى النخيلة وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، وكان عدي أول الناس عسكرا.ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ومعقل بن قيس الرياحي[1].. وتتابع الناس كل يقول كما قال عدي..

الأصول الطيبة لسفانة وعدي، ومكارم الأخلاق التي ارتضعا

---

(١) مقاتل الطالبيين.

منها في ذلك البيت الكريم، كان من الطبيعي أن تنتج طيبا، وكرامة وشرفا.أما قال أمير المؤمنين عليه السلام مبينا دور الأصول الطيبة في عهده لمالك الأشتر «ثم الصق بذوي الاحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة.ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف».

فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية

أم البنين وزوجة أمير المؤمنين.

توفيت بعد واقعة كربلاء ودفنت في المدينة.

❁❁❁❁

(كان لأمير المؤمنين علي عليه السلام من الولد سبعة وعشرون بين ذكر وأنثى:

فالحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم والمحسن (سقط) أمهم فاطمة بنت رسول الله سيدة النساء عليها السلام، ومحمد (أبو القاسم المعروف بابن الحنفية) أمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية.وعمر ورقية (توأمان) أمهما أم حبيب بنت ربيعة. والعباس وعبد الله وجعفر وعثمان (شهداء كربلاء) أمهم أم البنين بنت حزام الكلابية. ومحمد الأصغر المكنى بأبي بكر وعبد الله (شهيدا كربلاء) أمهم ليلى بنت مسعود الدارمية.ويحيى أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، فهؤلاء الأولاد لستٍّ حرائر، والباقي لأمهات أولاد شتى وهن نفيسة ورقية الصغرى، وأم هانئ وأم الكرام، وأمامة، وأم سلمة، وميمونة، وخديجة وفاطمة وزينب الصغرى وجمانة..).

غير أن الناظر في التاريخ يلاحظ جهة اختصاص في هذه

الزوجات وأولئك الأولاد، فبعد الزهراء عليها السلام وأولادها، تتربع أم البنين فاطمة بنت حزام وأولادها الأربعة على صهوة المجد والثناء الحسن وإن كان لا ينسى لمحمد بن الحنفية فضله ولسائر النساء حسن حالهن وهذا أمر حري بالتأمل.ذلك أنه يفترض ان الجميع من نساء ومن أولاد كانوا يعيشون في ظل التوجيه العلوي، والتربية الحيدرية، فما الذي ميز بعضهم على بعض، وفضل بعضهم على بعض، طبعا هذا الحديث لا يشمل الزهراء عليها السلام فتلك لها منزلة لا يقاس بها غيرها، وهكذا أولادها

إن أول ما نلاحظه في طريقة اقتران أمير المؤمنين عليه السلام بأم البنين احتفافه بمراسم غير عادية، فها هو أمير المؤمنين يطلب من أخيه عقيل وكان عارفا بأنساب العرب وأخلاقهم أن يخطب له امرأة ذات مواصفات خاصة لكي تلد له فارسا شجاعا ينصر ابنه الحسين عليه السلام ويتقاسم في كربلاء معه شرف الدفاع عن الدين تابعا لأخيه، فهو يعد هذا الزواج لقضية سيكون على أثرها حياة الدين وبقاء الشريعة..

وعرك عقيل ذاكرته، وجاس في قبائل العرب، يفكر في أشجعها، وأفضلها مروءة وشهامة، فقال لأمير المؤمنين عليه السلام: أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية؟ فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس، كان هذا في المدينة

وفي الطرف الآخر؛ هاهي فاطمة تجد أول حلقة من تفسير رؤياها قد تحققت.. من مثلها وقد كانت تتمنى أن تخدم وصي النبي صلى الله عليه وآله بأجفان عينيها وتفديه بمهجة قلبها، هاهي تصبح

زوجة له!! فيا سعد يومها!!

لقد رأت في المنام ذات ليلة كوكبا منيرا تتبعه أربعة نجوم قد نزلت إلى دارها فملأت البيت ضياء ونورا، ولما أفاقت سألت أمها عن ذلك

وأجابت الأم: ابشري يا بنتاه يتزوجك رجل عظيم، تنجبين منه أربعة أولاد

وطرق الباب، من رسول لعلي عليه السلام يخطب فاطمة. عليٌّ الذي لم يتزوج على فاطمة الزهراء عليها السلام، أيام حياتها، ولم يفكر في ذلك، وإن لفق الأمويون السابقون، والأمويون اللاحقون له أكذوبة خطبته لبنت أبي جهل، وظنوا أنهم يطعنون في علي عليه السلام، فإذا هم يطعنون في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي التزامه بالمبادئ التي جاء يبشر بها؟ وما يدريك لعل الأمر مقصود أن يطعن في الطرفين الرسول والوصي؟

لكن بعد شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، ووصيتها بأن يتزوج الإمام بابنة أختها زينب، أمامة بنت العاص بن الربيع، وفعلا فقد تزوج في البداية أمامة، ثم تزوج بعد ذلك بفاطمة بنت حزام الكلابية المعروفة بأم البنين. هذا وإن كان بعض المؤرخين يرى أن زواجه عليه السلام بأم البنين كان سابقا على زواجه بأمامة، لكنه بعيد مع ملاحظة أن أبا الفضل العباس وهو ولدها البكر قد ولد في عام ٢٦ هجرية، ويبعد جدا أن يكون الإمام عليه السلام بها بعد شهادة الصديقة الزهراء فاطمة في السنة الحادية عشر، وتبقى المرأة بلا إنجاب مدة خمسة عشر عاما

لقد أصاب عقيل المحل المناسب، والعطر لا يعرف بالوصف بل يتضوع فيدل على طيبه ورائحته..

أم البنين وحسن التبعل

تتعرض زوجات الرسل والأئمة والأولياء الصالحين إلى ضغوط كثيرة، وبعضهن يتجاوزن هذه الضغوط والمحن ويخرجن منها قرينات لأزواجهن، وعاليات في منازلهن، بينما تتوقف أخريات في أول الطريق، ولذا رأينا أن النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، يصارح زوجاته من البداية بما ينتظرهن ويخيرهن بين الارتقاء والسمو وبين الانحدار إلى دركات حب الدنيا، وعبادة اللذة والشهوة، فيقول ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

ولذا كان أتباع مذهب أهل البيت لا يرون لزوجة الرسول أو الإمام فضلا بمجرد زواجه منها، وإنما يرون فضلها في انسجامها مع خطه، وفي استجابتها لتوجيهاته، وسيرها على نهجه، وكانت المفاضلة بين زوجاتهم أيضا تخضع لهذا المقياس.

فمن الضغوط التي تتعرض لها زوجة النبي أو الإمام، ما يمارسه في حياته الشخصية من أرقى درجات الكمال الأخلاقي من الزهد والقناعة، والإنفاق، وكل ذلك ينعكس أولا في بيته وحياته ومع زوجاته، إذ لا يعقل أن يكون آمرا للناس بتلك المثل، ومخالفا لها في منزله وهنا تتعرض الزوجة تلك للامتحان

(١) سورة الأحزاب آية/٢٨.

فإما أن تستجيب لنمط تلك الحياة طائعة وترتقي بنفسها إلى ذلك المستوى العالي لزوجها. فتسعده وتسعد به، كما كان حال الصديقة خديجة بنت خويلد عليها السلام مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .وإما أن تبقى حيث هي، فلا تحظى من الرسول أو الإمام بغير المنام والمضاجعة!! وأحيانا بغير الطلاق والمفارقة!! لقد وجدنا من زوجات الأنبياء والأولياء من كانت كذلك

ومن الضغوط التي تتعرض لها ما يرتبط بالرسالة، فإن حياة النبي أو الإمام الرسالية، لا تخرج من تعب إلا لتدخل في مشقة، وخذ مثلا لذلك حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه قد (أوذي كما لم يؤذ نبي قبله)، وعلي عليه السلام الذي صبر «وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهبا».. هذه الضغوط والمشاكل تنعكس على من يعيش معه وأولهم زوجته، أو حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام ، ولا شك أن أي امرأة تحب أن تعيش ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ وتتمتع بحياة زوجية هانئة صافية مما يشوشها من بغي الكافرين وأذى الظالمين.. وهنا محل الامتحان فإن حياة النبي والإمام والمؤمن الرسالي لا تخلو من هذه المشاكل، ولا تصفو له الدنيا.وتبقى الزوجة هنا بين أمرين أحلاهما مر: بين التزامها وتدينها وإيمانها ورؤيتها أنه لم ترزق امرأة كالتي رزقت من شرف الزوجية هذه، وبين رغبتها في الهدوء ومحبتها للدنيا، ولا سيما عندما تنظر إلى قريناتها ممن يرفلن في المال والهناء الظاهري وهي لا تملك ذلك.. فأي الخطين تقدم؟

ولأهمية الموضوع فقد ضرب الله سبحانه وتعالى في القرآن مثلا للذين كفروا بامرأتين من زوجات الأنبياء خانتا خط الأنبياء، وتركتا المسيرة الرسالية، وأحبتا الدنيا وركنتا إليها،

فكانتا مثلا لكل الذين كفروا!! ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[1].

ومن الضغوط التي تتعرض لها زوجة المعصوم ـ وغيرها لكن هنا بنحو مضاعف لاحتمال أن ينطبق على بعض زوجاته الأخريات عنوان معين كالعصمة مثلا، أو على أبنائه من غيرها عنوان خاص ـ كيفية التعامل مع من هم في دائرة النبي والإمام، مثل زوجاته الأخريات، وأبنائه من غيرها. فهنا يحدث الصراع بين ما هو في النفس البشرية قبل التهذيب الأخلاقي من استئثار وشح، بل وعداوة أو بغضاء في بعض الأحيان، وبين ما ينبغي أن تتمثل به زوجة المعصوم. فضلا عن غيرها من النساء

ولذا نجد أنه في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، جعل حسن التبعل جهادا للمرأة، تثاب عليه ثواب المجاهد المرابط على خط النار، المعرض نفسه للقتل، ومهجته للتلف، ولعمري إن الأمر كذلك، فإن ما على المرأة في داخل بيتها، من مهمة تربوية، وما تعايشه من ضغوط نفسية تجعل الفائزة في هذا الميدان بمثابة المجاهدة، فإن هذا هو ميدان جهاد النفس المسمى بالجهاد الأكبر.

إننا عندما نلاحظ العلاقة غير السوية التي تنشأ بين بعض الزوجات، والتي سميت الزوجة الأخرى لأجل تلك العلاقة في

---

(١) سورة التحريم آية/١٠.

اللغة العربية (ضرة)، لأن من شأنها الإضرار بسابقتها، والسابقة بلاحقتها. بل ونلاحظ المستوى الذي تصل إليه بعض النساء، أحيانا حتى ضمن بيوت النبوة والإمامة، من قبل بعض الزوجات بحيث تكيد الواحدة للأخرى، وتتظاهر الأولى على الثانية، وتغار غيرة شديدة، حتى ينزل في ذلك قرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار. وينقل حديث عن النبي ﷺ ويدون. فهذه تكسر إناء تلك الذي أهدت فيه للرسول بعض الحلوى حينا، وتتآمر على الزوجات الجديدات حتى يقلن شيئا يطلقهن النبي على أثر ذلك الكلام و.. و..

عندما نلاحظ هذه المظاهر من العلاقة غير السوية سواء بين الزوجات أنفسهن، أو بين الزوجة والزوج، ندرك أنه لم يكن جزافا اعتبار حسن التبعل جهادا للمرأة وأي جهاد.

ولقد كانت أم البنين عليها السلام في المستوى الأعلى من ذلك، فإن التاريخ لا ينقل لنا صورة واحدة مما ينقله عن تجارب أخرى من التغاير أو التآمر، أو الإضرار، بل قد ينقل خلاف ذلك من المراعاة والملاحظة الشديدة للمشاعر، فإنه قد نقل أن فاطمة بنت حزام لما انتقلت إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام، ورأت شدة تعلق أبناء فاطمة عليها السلام بأمهم، كانت تبدي لهم من الود ولذكراها من الاحترام، ما يطيب خواطرهم، وربما كانت تلاحظ أدق التفاصيل في مشاعرهم، فقد نقل أنها طلبت من أمير المؤمنين عليه السلام أن يغير اسمها وأن لا يخاطبها أمامهم باسم (فاطمة) لكيلا يذكرهم باستمرار بفقد الأم العزيزة، أو بأن أخرى قد حلت مكانها، ونعم ما فعلت. ولذا اشتهرت بكنيتها (أم

البنين)

كما أن رعايتها وعنايتها لأبناء فاطمة عليها السلام، كانت تفوق رعايتها لأبنائها هي، ولعل هذا ما كانت تراه أيضا في تعامل أمير المؤمنين مع أولاده، والذي عبر عنه محمد بن الحنفية عندما أراد أحد أن يستثير فيه الحسد بأن قال له ما بال أبيك يبعثك للقتال ويترك حسنا وحسينا عنده، فقال: أنا يمين والدي، وهما عيناه والمرء يذب بيده عن عينيه وذلك لما سبق أن قال أمير المؤمنين له في مناسبة أخرى: إنك ابن علي وهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!

فقد نقل المؤرخون أنها لما أدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام، وقد كان الحسنان مريضين، وربما كان عمرهما في تلك الفترة في حوالي السادسة عشر، فبدأت تلاطفهما وتخفف بحسن كلامها عنهما ما يجدان من المرض والألم وكان هذا العنوان، هو الذي طبع حياتها معهما ومع بقية أبناء وبنات أمير المؤمنين

وسيأتي فيما بعد ذكر أنها سألت بشر بن حذلم عن حال الحسين عليه السلام قبل سؤالها عن أبنائها

أم البنين الأربعة

كانت نتيجة الفترة التي قضتها أم البنين مع أمير المؤمنين عليه السلام (أربعة مثل نسور الربى)، وكان ما أراده أمير المؤمنين من هذا الزواج قد بدأ بالتحقق عندما أطل قمر العشيرة واستهل في الرابع من شهر شعبان من سنة ست وعشرين للهجرة.واستبشر علي عليه السلام، فهذا هو الفارس الموعود الذي سيسجل التاريخ وقفته الرائعة مع أخيه الحسين في

كربلاء في موقف (عق فيه الوالدَ الولدُ)

بينما كان الجميع في حالة فرح واستبشار، لا سيما أمه، كان علي عليه السلام يحمل هذا الوليد المبارك، يقبله ويكشف عن ساعديه فيقلبهما ويقبلهما ويبكي، فيدهش أمَه حالُ أبيه، وتسأله عن سبب بكائه، وما الذي يدعوه لذلك في ساعة فرح كهذه؟ ويطلعها أمير المؤمنين عليه السلام على غامض القضاء، ونبأ المستقبل وما سيجري عليه في نهضة كربلاء، وكيف ستشهد قطع هذين الكفين بعد ملحمة وجلاد بطولي رائع، فبكت هي بدورها وأعولت ومن حضر في الدار حينئذ، لكن سلاها وعزاها أن الشهادة لأهل البيت عادة متكررة، وأنها من بيت وفي بيت ما ماتوا إلا قصعا بالسيوف، وأن ابنها سيكون على نفس الطريق في الغاية، متلبسا بنصرة الحق، متدرعا بطاعة الإمام[1].

وأنجبت أم البنين بعد العباس عبد الله، وبعده عثمان، وأخيرا جعفر، وكان بين العباس وعبد الله قرابة تسع سنوات وبين عبد الله وأخيه عثمان سنة واحدة، وبين عثمان وجعفر خمس سنوات، فعن أعلام الورى للطبرسي أن العباس قد استشهد بالطف وله ٣٤ سنة، وأن عبدالله كان له ٢٥ سنة، وأن جعفر قتل وله ١٩ سنة كما ذكر المقرم أن عثمان بن علي كان له يوم الطف أربعة وعشرون عاما

ويفترض أن أم البنين قد قدمت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة بعد انتقاله إليها كعاصمة للحكم بعد المدينة المنورة،

(١) المقرم، عبد الرزاق، العباس عليه السلام ص١٣٨.

وبقيت معه إلى شهادته، مثلما انتقل معه سائر ولده وأهلـه. وإن كنا لا نرى في رواية مقتل أمير المؤمنين عليه السلام ذكرا لها ولا لسائر زوجاته الأخريات، وهذا غريب إذ ليس معقولا أن يكن جميعهن غائبات عن حضور هذا الحدث العظيم. إلا أن تكـون الروايـات التي تتحدث عن مقتله عليه السلام، والتي تشير إلى أنه قـد حمـل مـن المسجد إلى بيته من غير تعيين، تقصد بيت أم البنين مثلا، أو أن يكون بيت واحد وفيه غرف أو دور متعددة، ولكـل زوجـة مـن زوجاته دار كما لـيس ببعيـد، بـل هـو الـسائد في الـسابق. وأن يكون الحديث عن حضور نـسائه عنـده للاطمئنـان علـى حالـه شاملا للحـديث عـن أم البـنين، وإلا فلـيس معقـولا أن يكـن غائبات في مثل ذلك.

إلى المدينة

اغتيل أمير المؤمنين عليه السلام في محرابه، ولم يكن ليختـم حياتـه إلا ببيت الله الذي بدأ حياته فيه، وعاش عمره له، وكان فخره به أنه ﴿يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ﴾ وجرت الأمور على غير ما يهـوى الهدى ويريد، واضطر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على اثر خذلان أنصاره، وطغيـان أعدائـه، ورعايـة لمـصلحة الـدين الـذي كـان يتربص به المتربصون أن يهـادن معاويـة الـذي لم يقاتـل ليـصلي الناس ولا ليصوموا أو ليحجوا

الكوفة التي جاء إليها أمير المؤمنين بأهله، وولده وبأصحابه، ها هي تودع ركب أهـل البيـت عليهم السلام، والحـسن خـارج منـها، والحسين وأبناء أمير المـؤمنين وأهـل البيـت عائـدين إلى مدينـة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان في الركب أم البـنين عليها السلام، كـرت عائـدة

بعد أن فقدت الوصي الكرار، وآلت على نفسها أن لا تتخذ زوجا بعد الوصي علي عليه السلام، وفاءا والتزاما. وإن كانت قد بقيت زمنا طويلا بعد شهادة أمير المؤمنين فإنه ينقل أنها قد بقيت إلى ما بعد كربلاء، وبقاؤها إلى ما بعد كربلاء هو مقتضى القاعدة، فإن عمرها يكون حينئذ في أكثر التقادير قرابة خمس وخمسين عاما وهو ليس بالشيء الكبير، فمع ملاحظة أن أبا الفضل العباس عليه السلام قد استشهد في سنة ٦١ هجرية وعمره ٣٤ سنة كما عن أعلام الورى، أو ٣٨ كما عن آخرين، ولو فرض أنها تزوجت بأمير المؤمنين قبل ذلك بعشرين عاما في أكثر التقادير، وإن كان يحتمل أن يكون أقل من ذلك.. لكان عمرها حين كربلاء قريب ما ذكرنا، ولا يوجد مانع من بقاء الإنسان العادي إلى هذه السن في الظروف الاعتيادية، ولذلك لا نرى أن استبعاد العلامة المحقق السيد المقرم رحمه الله في محله. فإنه بعد أن قال: لم أعثر على نص يوثق به يدل صراحة على حياة أم البنين يوم الطف، ثم بدأ بمناقشة رواية أبي الفرج الأصفهاني عن محمد بن علي بن حمزة عن النوفلي عن حماد بن عيسى عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام أن أم البنين كانت تخرج إلى البقيع تندب بنيها أشجى ندبة وأحرقها فيجتمع الناس إليها ليسمعوا منها وكان مروان يجيء فيمن يجيء لذلك فلا يزال يسمع ندبتها.. ثم شرع في مناقشة رواة السند، قائلا بأن رجال إسناده لا يعبأ بهم، فإن النوفلي وهو، حكي عن أحمد أن عنده مناكير، وعند أبي زرعة ضعيف الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ، وقال أبو حاتم منكر الحديث جدا، وقال النسائي متروك الحديث. ومعاوية بن عمار بن أبي معاوية قال أبو حاتم لا يحتج بحديثه، وإن أريد

غير هذا فمجهول.. ثم عرج على المتن، وانتهى إلى أن نسبة أبي الفرج خروج أم البنين إلى البقيع هي فرية واضحة إذ لا شاهد عليها وغايته التعريف بأن مروان بن الحكم رقيق القلب.. ثم عطف المحقق المقرم على ذلك أن أبا الفرج ناقض نفسه بأن قال في موضع آخر أن العباس كان آخر من قتل من إخوته فحاز مواريثهم وورث العباسَ ابنُه.. عبيد الله، وهذا يفيدنا وثوقا بوفاة أم البنين يوم الطف فإنها لو كانت موجودة لكان ميراث العباس مختصا بها لكونها أمهم ولا يرثهم العباس لأنه أخوهم. ذكر ذلك في سفره القيم (مقتل الحسين).

ولنا مع العلامة المحقق المقرم رحمه الله وقفتان:

الأولى: نقاشه في رجال السند

فأول ما هو مذكور في رواية أبي الفرج (علي بن محمد بن حمزة) وهذا الشخص لا ذكر له في كتب الرجال أصلا، ويظهر أن في اسمه تقديما وتأخيرا والصحيح هو (محمد بن علي بن حمزة المعروف بالعلوي) وهو بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام والذي نقل عنه أبو الفرج كثرا واعتمد عليه فقد ورد ذكره في أكثر من عشرين موضعا من كتاب المقاتل، وروى عنه النوفلي علي بن محمد أيضا في المقاتل، وهذا الرجل يظهر أنه كان محيطا بأخبار حركات أبناء الأئمة، وتاريخ نضالهم ضد الحاكمين فكان المصدر الأساسي الذي اعتمد عليه أبو الفرج في كتابه، وهو كما يقول النجاشي: «ثقة عين في الحديث صحيح الاعتقاد له رواية عن أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام، وله مكاتبة وفي داره حصلت أم صاحب الأمر بعد وفاة

الحسن عليه السلام». ويذكر آية الله الخوئي رحمه الله في معجمه أن له كتاباً باسم مقاتل الطالبيين.

وأما النوفلي فإنه لقب رجال كثيرين منهم الحسن بن محمد بن سهل، وعبد الله بن الفضل بن عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو من أصحاب الصادق وثقة، والحسين بن يزيد بن محمد بن عبد الملك النوفلي، وهو من أصحاب الرضا، وعلي بن محمد بن سليمان النوفلي وهو من أصحاب الإمام الجواد والهادي والعسكري

والمكثر للروايات في الفقه هو الحسين بن يزيد الذي يروي عن السكوني عادة، وله في أبواب الفقه روايات كثيرة.

ولكن الذي يروي عنه أبو الفرج في المقاتل ليس هذا، وليس كما ذكر السيد المقرم أنه يزيد بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم.. وإنما هو علي بن محمد بن سليمان النوفلي، ومع التتبع لكتاب المقاتل يظهر أنه يعتمد عليه اعتمادا كبيرا فيما ينقل من أمور ترتبط بأبناء علي عليه السلام في أكثر من ٢٣ موضعا، وهذا بدوره ينقل عن أبيه كثيرا، فترى صاحب المقاتل ينقل عنه في قضية يحيى بن زيد ويعتمد على روايته بشكل أساسي في نقل أحداث حركة عيسى بن زيد، وفي ثورة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن. وهذا النوفلي قد يذكر في الرجال تارة بعنوان علي بن محمد وأخرى علي بن محمد بن سليمان، ومع أن له رواية عن الإمام الجواد عليه السلام، ومكاتبة للإمام العسكري عليه السلام، وقد ذكره الصدوق في مشيخته،

وطريقه إليه صحيح..

إلا أنه لا توثيق له بخصوصه وإن كان إمامياً، لكن يمكن استفادة ذلك من التوثيق العام بالنسبة لمن لم يُستثن من كتاب نوادر الحكمة، بناء على أن عدم الاستثناء لهم لا يختص بتصحيح الروايات في الكتاب المذكور وإنما هو إضافة إلى ذلك توثيق للرواة.كما هو مسلك كثيرين.. فإنه قد ذكر علي بن محمد النوفلي في من لم يستثن من رواة كتاب النوادر

والنوفلي روى في أصول العقائد كما هو في الكافي في أكثر من موضع، وفي الفروع أيضا، لكن يبدو أنه كان متخصصا أكثر في حقل التاريخ وضبط أحداث معارضة أهل البيت وأبنائهم للحاكمين، ولذلك اعتمده أبو الفرج في مقاتله، وروى عنه الطبري أيضا أحداث الثورات التي تقدم ذكرها.

وأما حماد بن عيسى الجهني من أصحاب الصادق و الكاظم عليهما السلام كان ثقة في حديثه صدوقا، وممن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم وأقروا لهم بالفقه.

وأما معاوية بن عمار بن أبي معاوية فهو العجلي الدهني، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وقد نص على توثيقه وجلالة شأنه من تعرض لذكره في الرجال، فقد قال النجاشي: كان وجها من أصحابنا متقدما كبير الشأن عظيم المحل ثقة، وكان أبوه عمار ثقة في العامة وجها، روى معاوية عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام ومات في سنة خمس وسبعين ومائة. ومثله ذكر في الخلاصة.

ولذا فمن العجيب أن ينقل العلامة المقرم قول أبي حاتم فيه: أن معاوية بن عمار بن أبي معاوية لا يحتج بحديثه، وإن أريد غير هذا فمجهول. إذ تضعيفه عندهم كما هو جار في غيره، إنما هو على أساس مذهبه وتشيعه، فإنهم يسارعون إلى الطعن فيمن عرف عنه تشيعه لعلي عليه السلام ويكفي عندهم لعدم الاحتجاج بحديثه كونه رافضيا كما يقولون فكيف إذا كان وجها عندنا وعظيم الشأن؟؟ ولم يكن منتظرا من المحقق المقرم الذي له الباع الطويل في هذا المجال أن يعتمد على تضعيف الرجاليين المخالفين لرواة أهل البيت، خصوصا أنه ذكر في المقتل بعض النماذج على التضعيف لأجل المذهب، وفي كتابه (العباس) قال في ذيل الحديث عن الأصبغ بن نباتة عندما نقل صاحب اللئالي المصنوعة فيه أنه متروك لا يساوي فلسا.. قال المقرم: ولقد طعنوا في أمثاله من خواص الشيعة بكل ما يتسنى لهم، ويشهد لهذه الدعوى مراجعة ما كتبه السيد العلامة محمد بن أبي عقيل (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل) فإنه ذكر جملة من أتباع أهل البيت طعنوا فيهم بلا سبب إلا موالاة أمير المؤمنين وولده عليهما السلام

وأما كلامه في المتن

أما قوله أن خروج أم البنين فرية واضحة غايتها التعريف بأن مروان بن الحكم رقيق القلب فاستدرار الدمعة إنما يتسبب من انفعال النفس.. الخ، فإنه يمكن على فرض صحة الخبر أن يكون ذلك من إظهار البكاء، واصطناع حالة البكاء الكاذب، وليس هذا بعيدا من شخصية مروان المنافقة، حيث أنه قد

يعمل الشيء وضده، والأمر وخلافه إذا رأى في ذلك مصلحة دنيوية عاجلة.. فهو على عدائه المعروف لأهل البيت لا يعدم وسيلة لكي يحوز بها على بغلة للحسن المجتبى عليه السلام فيدفع أحدهم لمدح الإمام مدحا عظيما.. إلى آخر ما ذكروه في أحواله فمثل هذا الأمر حضوره في الجبانة وإظهار شخصه أمام السذج بمظهر المتعاطف ليس شيئا مستنكرا. فكم وجدنا من السياسيين، والزعماء الدنيويين من يقتل القتيل ويمشي في جنازته باكيا!!

ثم إنه بمراجعة كتابه الآخر (العباس) يتبين أن السيد المقرم رحمه الله يخالف نظريته في كتاب مقتل الحسين في أكثر من موضع ويبني على أساس أن أم البنين كانت موجودة إلى ما بعد زمان واقعة كربلاء، فقد ذكر في صفحة (١٣٣) أن السيدة زينب قد زارت أم البنين بعد وصولهم إلى المدينة تعزيها بأولادها كما كانت تزورها أيام العيد. وتعزية زينب عليها السلام وزيارتها لأم البنين بعد وصولهم إلى المدينة يشير بوضوح إلى حياتها إلى ذلك الوقت. بل أن ما نفاه هناك، أثبته هنا في مواضع متعددة منها في صفحة ٣٩٨ حيث قال: وأول من رثاه ــ العباس ـ أمه أم البنين كما في مقاتل الطالبيين فإنها كانت تخرج إلى البقيع تندب أولادها أشجى ندبة وأحرقها فيجتمع الناس لسماع ندبتها... ويستدل على خطأ ما نقله أبو الفرج والطبري من أنه أبا الفضل قدم إخوته ليقتلوا أمامه لكي يرثهم (!!) يقول في صفحة ٢٠٣: وما أدري كيف خفي عليهما أي المؤرخين المذكورين (عدم إمكان) حيازة العباس ميراث إخوته مع وجود أمهم أم البنين وهي من الطبقة المتقدمة على الأخ، ولم يجهل العباس شريعة تربى في

خلالها..

كما يقول مثبتا وجود أم البنين حتى يوم الطف، في صفحة ٢٠٦: وهناك مانع آخر من ميراث العباس لهم وحده حتى لو قلنا على بعد ومنع بوفاة أم البنين يوم الطف لوجود الأطرف وعبيد الله بن النهشلية.. كما يشاركهم سيد شباب الجنة وزينب وأم كلثوم وغيرهن من بنات أمير المؤمنين هذا إن قلنا بوفاة أم البنين يوم الطف، ولكن التاريخ يثبت حياته يومئذ وأنها بقيت بالمدينة وهي التي كانت ترثي أولادها الأربعة..

ولا نعلم عن تأريخ الكتابين وأيهما المتقدم ليكون المتأخر هو الناسخ، والرأي الأخير للمؤلف، فإن كان العباس هو الكتاب الأخير يكون ما ورد فيه عدولا عن ما ورد في كتاب مقتل الحسين، وإن كان العكس فيلزم أن يشير إلى ما سبق أن شيده وأكده في كتاب العباس؟

وعلى كل حال فإن ما بذله المحقق المقرم رحمه الله من جهد في كتاب مقتل الحسين في نفي حياتها أخيرا مع أنه كان في بداية حديثه مقتصرا على عدم العثور على نص يوثق حياتها، لا يمكن المساعدة عليه أو قبوله.ونفس الكلام الذي قاله بعدم وجود نص يوثق حياتها يعود في عدم وجود نص يوثق وفاتها، مع أن بقاءها إلى ما بعد مقتل الحسين عليه السلام أمر طبيعي، وهو مقتضى الأصل

بعد الفاجعة

تلفعت كربلاء برداء حزنها وألمها، وودعت الركب الثاكل،

بعد أن سكبت أرضها دموع الدماء، على فقد أبطال قد واصلوا الموت بقطع الوتين، وغادر ركب الثواكل تنشره الحسرة، وتطويه الغصة، إلى الكوفة ومنها إلى الشام ثم كر عائدا إلى كربلاء فالمدينة..

على أبواب المدينة نصب الإمام السجاد عليه السلام مخيم العزاء، لم يشأ أن يدخلها بصورة اعتيادية، فتمام جهاد الحسين عليه السلام، إعلان قضيته وإشهارها أمام الناس، وشرح مواقف البطولة، بطولة المواقف التي كتب سطورها الأصحاب والهاشميون بدمائهم الطيبة، وبيان المآسي التي حلت على طاهرات النساء من نسل علي وفاطمة والمعاناة التي لقيها أطفال النبوة والرسالة..

لا بد من تعبئة المجتمع الراكد، بما يستثير عزائمه ويستنهض فيه عزته الغائبة، وشهامته المنحورة، ولا بد من ذكر الحسين، لذلك ما أن لقي الإمام زين العابدين بشر بن حذلم الكوفي حتى بادره بالسؤال إن كان يحسن الشعر، فلما أجابه بالإيجاب، أمره أن يدخل المدينة وينعى الإمام الحسين عليه السلام لأهلها، قال بشر: فركبت فرسي حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رفعت صوتي بالبكاء، وأنشأت:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار

وقلت: هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه، فخرج الناس يهرعون ولم تبق مخدرة إلا برزت تدعو بالويل والثبور وضجت

المدينة بالبكاء فلم ير باك أكثر من ذلك اليوم.

وينقل العلامة المامقاني في تنقيح المقال حوار أم البنين مع بشر مختصرا فيقول: ويستدل على قوة إيمانها وتشيعها أن بشر كلما نعى إليها بعد وروده المدينة أحدا من أولادها الأربعة قالت ما معناه: أخبرني عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فلما نعى إليها الأربعة قالت قطعت نياط قلبي، أولادي ومن تحت الخضراء (السماء) كلهم فداء لأبي عبد الله..

يطوي الزمان التفاصيل، وينسى أهله صغائر الأمور بعد فترة من وقوعها، لكن تبقى المواقف والذكر الطيب، والانتقال من الكم المهمل إلى النوع المهم، وهذا ما فعلته أم البنين

سلام على أم المواقف، وأم البنين ذوي المواقف.

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي الحديد: عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، دار الكتب العربية، القاهرة.

٣. ابن الأثير: محمد بن محمد الشيباني، در صادر، بيروت.

٤. ابن حنبل: احمد، مسند الإمام احمد بن حنبل، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، عالم الكتب، بيروت.

٥. ابن خالكان، وفيات الأعيان، منشورات الشريف الرضي..

٦. ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.

٧. ابن قتيبية، الإمامة والسياسة.

٨. ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩. أبوفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، دار الكتاب، قم.

١٠. الأميني: عبد الحسين، الغدير، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان.

١١. بحر العلوم: مهدي، رجال السيد بحر العلوم، منشورات الشريف الرضي، قم.

١٢.الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، بيروت.

١٣.الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، مكتب الإعلام الإسلامي، قم.

١٤.الطبري: أحمد بن عبدالله، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

١٥.الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

١٦.العسكري: مرتضى، معالم المدرستين، مؤسسة النعمان، بيروت..

١٧.المامقاني: عبدالله، تنقيح المقال، المكتبة المرتضوية، النجف.

١٨.المتقي الهندي، كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٩.المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء، بيروت.

٢٠.المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر..

٢١.المفيد: محمد بن النعمان، الاختصاص، جامعة المدرسين، قم.

٢٢.المفيد: محمد بن النعمان، النصرة في حرب البصرة، منشورات الداوودي، قم.

٢٣.المقرم: عبدالرزاق، العباس عليه السلام..

٢٤. الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٢٥. النوري: ميرزا حسين، مستدرك الوسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

المحتويات

للمؤلف

١. طلب العلم فريضة
٢. الهجرة مستقبل أفضل
٣. حجر بن عدي الثائر الشهيد
٤. مفهوم التقية في الإسلام
٥. عن الجهاد والثورة عند أهل البيت
٦. بناء القادة في منهج أهل البيت
٧. الحياة الشخصية عند أهل البيت
٨. نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية
٩. التشكيك.. كيف واجهه أهل البيت
١٠. رجال حول أهل البيت (جزءان)
١١. نساء حول أهل البيت
١٢. من قضايا النهضة الحسينية (١ـ ٣)

لاقتراحاتكم وآرائكم يمكن الاتصال بالمؤلف

www.al-saif.net

fawzialsaif@hotmail.com